يس بالخبز وحده يحيا الإنسان

حنظلة

مجلة شهرية تصدر عن شبكة حنظلة للدراسات والنشر

العدد 27 - كانون أول - 2015

عدد خاص

رئيس التحرير: ناجي الجرف
مدير التحرير: بشرى قشمر
المدير الفني: بحر عبد الرزاق
تصميم فنّي: عمران الحلاق

فريق التحرير

عروة الحلاق
جـــمال حســـون
جـــــنان قشمر
محمد الجرف
تدقيق لغوي: همام الخطيب

شارك في هذا العدد

أحمد الخليل
آرام كاربت
أصلان
براء موسى
برهان ناصيف
بكر صدقي
خالد أبو عيسى
رائد وحش
راتب شعبو
زكريا صقّال
ضحى عاشور
طارق عزيزة
عمار ديوب
غياث نعيسة
مروان عبد الرزّاق
ميشيل سيروب
يوسف فخر الدين

والفنانون

أسعد فرزات
عبد الناصر الناجي
عماد رشدان
محمد عمران
محمود السعدي
محمود سلامة
منيف عجاج

الآراء الواردة في مجلة حنطة لا تعبر
بالضرورة عن رأيها

www.hentah.com
hentah.magazine@gmail.com

عدد خاص عن علي الشهابي بالتعاون مع راتب شعبو

نكتب عن علي الشهابي المجهول المصير منذ ثلاث سنوات بعد اعتقاله من قبل فرع فلسطين التابع لشعبة الأمن العسكريّ في دمشق. نكتب عنه لأنّه نموذجٌ لسجين الرأي، أو لنقل إنه النموذج الفلسطينيّ/السوريّ من سجين الرأي. ليس فقط لأنه عايش كلّ أجيال سجناء الرأي السوريين منذ منتصف سبعينات القرن الماضي إلى اليوم، بل أيضاً لأنّه لم يستسلم. هكذا تصبح الصورة التي يرسمها الخيال عن سجين الرأي قريبةً من صورته الواقعيّة. يستمر علي في الرفض، ويبحث عن محاور جديدةٍ للاختراق.

اعتقل مراتٍ عديدة، وفي كلّ مرةٍ كان يعتقل بسبب محاولةٍ مغايرة. على هذا، فإن الكتابة عن علي تعادل الكتابة عن معتقل الرأي عموماً، وعن النسخة السوريا منه بالتحديد.

ونكتب عن علي كأننا نكتب عن أنفسنا نحن الذين نجونا إلى الآن ولا زال بمقدورنا، لذلك، أن نرى ضوء الشمس، وأن نتنزّه في فضاءٍ مفتوح، وأن يكون لدينا من الطمأنينة ما يتيح لنا أن نقرأ ونكتب.

اعتقال علي هو اعتقال رمزيٌّ لكلٍّ منا في بلاد تحكمها أمزجةُ أصحاب السلطة والقوة، كان يمكن للصدفة أن تعكس الأدوار، فيكتب علي عن أحدٍ ممّن يكتبون عنه هنا. اخترنا أن يكتب عن علي الكتّاب الذين يعرفونه شخصياً، لتكون الكتابة أكثر صدقاً. نريد للصورة الصادقة التي ترسمها كلمات أصدقائه هنا، أن تكون دليلاً إضافيّاً على نوعيّة الناس الذين يستهدفهم نظام القتل الأسديّ.

ونريد من هذه الكتابة أن نلقي ضوءاً إضافيّاً على كتلة الكذب السائد عن أن النظام السوريّ يحارب الإرهاب، هذا الكذب الذي تراكم وتخمّر حتى راحت تفوح منه رائحة الخيانة.

وللأسف؛ هذا جلُّ ما نستطيع فعله في مواجهة عالمٍ قائمٍ على الظلم من أساسه إلى رأسه. يعرف أحدنا علم اليقين، أنه إذا طالته يد إحدى قوى الموت المتصارعة في سوريا، فلن يكون بمقدور أصدقائه إلّا أن يكتبوا عنه كتابةً تشبه التأبين. لأن الأمر ليس لصاحب الكلمة، بل لصاحب المال والسلاح والميليشيات. إلى علي وأمثاله أينما كانوا نوجه كلامنا وقلوبنا تتكئ على أملٍ لا يموت.

راتب شعبو

علي سعيد الشهابي: فلسطيني من مواليد سوريا ١٩٥٥/٩/١١، يحمل شهادة إجازة في الأدب الانكليزي، اعتقل في ١٩٧٤ بتهمة الانتماء إلى «المنظمة الشيوعية العربية» وبقي في حوالي السجن تسعة أشهر في سجن المزة في دمشق، اعتقل في ١٩٨٢ بتهمة الانتماء إلى «حزب العمل الشيوعي» وبقي في السجن حوالي عشر سنوات في سجن الشيخ حسن في دمشق، وسجن عدرا في ريف دمشق.

اعتقل في ٢٠٠٦ بسبب نشاطه في تأسيس تيار «سوريا للجميع» وبقي في السجن سبعة أشهر في سجن كفرسوسة في دمشق.

اعتقل في ٢٠١٢ بسبب نشاطه في الثورة السوريا في فرع فلسطين، ولم يفرج عنه إلى الآن.

صدر له كراسان الأول بعنوان «البنية الجديدة للعالم» والثاني بعنوان «سوريا إلى أين».

صدر له كتاباً مترجماً عن الانكليزية بعنوان «الحرب الأهلية في إسبانيا»، لليون تروتسكي.

الحرب الأهلية القادمة في سوريا*

علي الشهابي

عمل للفنّان محمد عمران

لا شكّ في أننا، شئنا أم ابتلينا، دخلنا طور الإعداد للحرب الأهليّة. هذا ما أرغمتنا عليه جملة شروط، الأساسيّ فيها إصرار النظام على (الحلّ الأمني). هذا ما فعل فعله في معادلة الصراع التي استقرّت، في المدى المنظور، على عجزٍ ثلاثيّ الأطراف:

١- عجز النظام على فرض الاستقرار.

٢- عجز الشعب الراغب بالخلاص منه عن الإطاحة به سلمياً.

٣- عجز الغرب عن التدخّل العسكريّ لعدة أسباب، لعل أبرزها سبب/ ذريعة الدعم الروسي القوي.

ظنّ النظام منذ البداية أنّه يستطيع إخماد الانتفاضة بالقوة. وكلما كان يوغل في محاولة فرض حلّه، كانت أعداد المنتفضين السلميّين تتزايد. ولما يئسوا من إمكانية إسقاطه بشكلٍ سلميّ، وفي ظلّ البطش الذي يتعرضون له، أخذت أعداد المسلحين الراغبين بالدفاع عن أنفسهم تتزايد، ومعهم الأفراد المنشقّين عن الجيش. وبالتّوازي خالت بعض أطراف معارضة الخارج أنّ تشكيل قوّةٍ عسكريّة مسلّحة، ولو باسم (حماية المتظاهرين)، من شأنه خلق وقائع على الأرض، تجبر الغرب على التدخّل العسكريّ. دغدغ هذا الحلم المنتفضين، وتوسّلوا التدخّل علناً. ولمّا وجدوه سراباً، أيقنوا أنّ جلّ ما يستطيعه الغرب هو إدارة الأزمة لا حلّها؛ على الأقلّ ريثما تنضج الأمور بحيث تتوضح ملامح الحلّ.

هذا اليقين أدخلهم مرحلةً جديدة، تفرض عليهم؛ إمّا الاستكانة، أو العسكرة. وكلّ المؤشّرات تبيّن أنّهم شرعوا يعدّون أنفسهم للخيار الثاني، على الرغم من الحشود السلمّية الغفيرة التي خرجت في حيّ المزة/ دمشق، في جمعة المقاومة الشعبية، ١٨ (شباط)*، واليوم الذي يليه. من أهمّ هذه المؤشّرات، دعوة الهيئة العامة لعلماء المسلمين في سوريا، بتاريخ ٦ (شباط الحاليط)*، إلى (النفير العام للدفاع عن أنفسنا وأعراضنا وأموالنا، مما يوجب على كلّ قادرٍ على حمل السلاح منّا الانضمام لكتائب الجيش السوري الحرّ، والعمل تحت قيادته). وناشدت الجميع (تقديم الدعم والمساعدة الماديّة والمعنوية للجيش السوري الحرّ، وللعوائل المتضررة جرّاء أعمال القتل التي يرتكبها النظام). وطالبت (أبناء الشعب، في الجيش السوري النظاميّ وقوات الأمن، الانشقاق عن النظام والانضمام إلى الجيش السوري الحرّ).

وبما أنّ مقررات وزراء الخارجية العرب في ١٢ (شباط)* تتيح المجال أمام دعم السوريين بالسلاح، وهو ما سيتمّ، تكون شروط العسكرة بين الداخل والخارج قد اكتمل تأسيسها.

بديهيٌّ أنّ من سيتجاوب مع دعوة الهيئة العامّة للعلماء هم المتديّنون من المسلمين السنّة، ومنهم فقط. ما يعني أنّ انشقاق بعض الأفراد خارجهم، لن يكون صدىً لها، بل لأنّهم ضد النظام. لكنّ الأهمّ أنّ من شأن هذه الدعوة أن تكبح جمهور الأقليات عن حمل السلاح ضدّ النظام، وربما يلحم به بعض الأفراد المتشققة علاقتهم به. لكن الغالبية العظمى من جمهورها، بكلّ تأكيد، سيتشوّش ويتخبّط. وإذا ما حمل السلاح، في ظلّ استعار الصراع بين قوى النظام والجيش الحرّ، وهو سيحمله، فحتّى يحمي نفسه ريثما يقرر بأي اتجاه يوجّهه.. ومتى.

المرعب في هذه المرحلة، التي بتنا على أعتابها، انفلات النوازع الطائفية التي ما زالت هامشّية، ما يؤدّي إلى طغيان الصراع الطائفيّ على الصراع ضد النظام. وهذا سيحدث إن لم يتدخل الديمقراطيون المدنيون الحقيقيون من الآن لمنعه. وفي حال انفلاته، من المؤكد أننا لن نعدم (تنظير) بعض المثقفين بأنّ هذا الصراع الطائفيّ هو الشكل السياسي للصراع ضد النظام، أو تبريره بالقول (هذا ما سعى باتجاهه النظام، وكان له ما أراد.. فهو المسؤول الأوّل والأخير عن كلّ هذه المجازر!).

هل يعني هذا أنّ الحرب الأهليّة، التي تنطوي على احتمال تحوّلها إلى حربٍ طائفيّة، لا مفرّ منها؟، يكاد المنطق أن يقول (نعم)، ولكنْ لا يجزم. فصورة التحرّكات ما زالت كما يلي: التظاهرات الشعبية، الشكل الرئيسيّ لمناهضة النظام، هي التي تحمي المسلّحين لا العكس، على الرغم من الادّعاء بأن الأخيرين

يحمونها. تظلّ هذه الحقيقة، حتّى يقرر الجيش اقتحام منطقة التظاهرات. عندها ينحسر التظاهر، ليتولى المسلّحون مهمة التصدي للجيش. وهذا ما يعطي مؤشراً، ولو ضعيفاً، على إمكانيّة الحفاظ على سلميّة الاحتجاجات كوسيلةٍ لإسقاط النظام.

هذه الإمكانية ينبغي العمل على تنمية شروط تحقّقها حتى تلاشيها، إن كانت ستتلاشى. وتحديد استمرار وجودها من عدمه لا يتمّ عبر التحليل النظريّ، بل يقرره الواقع العمليّ.. انطلاق شرارة الحرب الأهلية. لذا لا بد من التفكير بالوسائل، التي يمكن استخدامها عمليّاً لتفعيل هذه السلميّة، برغم السيل الجارف نحو الحرب الأهليّة.

أما إنْ لم تثمر الجهود الدافعة لتقوية السلميّة، فالخوف هو من تحوّل الحرب الأهلية شيئاً فشيئاً إلى حربٍ طائفيّة. فتركيبة الجيش الحرّ، كما سنكتشف بالملموس، ستكون سنيّة. لذا سيبدو طائفياً، حتى لو لم يكن. وإن تُرك وحده ربما سيصير. لذا؛ على الديمقراطيين الحقيقيين التفكير بكيفيّة الفعل في هذا الصراع، على الرغم من عدم وضوحها إلى الآن. صحيحٌ أنّ هذا يتوقف على الظروف، ولكنْ إن ظلّوا هامشيين فيه سيصيرون كنساء العهود الغابرة. إذ سيحقّ لجيش النظام، والجيش الحر، أن يقولا لهم:

كُتب القتل والقتال علينا

وعلى الغانيات جرّ الذيول

أرجو ممن يوافق على الإطار العام لهذه الرؤية مايلي:

١- التفكير باقتراحاتٍ عمليّة لكيفية تعزيز المنهج السلميّ لمناقشة جدواها.

٢- التفكير بتصوراتٍ لما يمكننا عمله، إن اندلعت شرارة الحرب الأهليّة، أو شارفت، لتوسيع آفاقنا في ما يخص ما ينبغي علينا القيام به للجم تحوّلها طائفيّاً.

*** نُشرت هذه المادة في العدد الرابع من جريدة الخط الأمامي (لسان حال تيّار اليسار الثوري في سوريا)، بتاريخ نيسان ٢٠١٢**

***(شباط ٢٠١٢ - المحرر)**

لا تنسوا اليرموك - عمل للفنّان محمود سلامة

علي الشهابي، الطاقةُ التي لا تنضب

أحمد الخليل

في منتصف الشهر السادس من عام ١٩٨٥ وبعد نحو شهر من وجودنا في الزنازين في سجن الشيخ حسن (كاراكون الشيخ حسن)، سمحوا لنا بأوّل ساعة تنفّسٍ، خرجنا (خمسةُ أشخاصٍ) وكنّا كأعمى أعيدَ له النظر.كان السجناءُ يدورون حول السجن الصغير المؤلّف من طابقين عبر ممرٍّ عرضه بين متر ومترين وهم يتحدّثون أو يتضاحكون،إنها ساعة التنفّس المسائيّة (كان التنفّس صباحيّاً ومسائيّاً، وكلّ فترةٍ تمتدُّ لساعةٍ واحدة). كان الصديق علي الشهابي من أوائل من تعرّفنا إليهم في السجن، عرفناه غيابيّاً عندما سمعنا قصة فصله من حزب العمل الشيوعيّ.

كان صوته قويّاً ومشوباً ببحّةٍ،وأفكاره دائماً متدافعةً، سريع الكلام مع حركةٍ مستمرّةٍ من يديه. سريع المشي حول سجن الشيخ حسن. كان إيقاع حياته يتّصف بالسرعة في كلّ الجوانب.

لم يكن يأبه أنه معتقلٌ على اسم تنظيمٍ هو مفصولٌ منه، ومشهّرٌبه بشكلٍ ظالمٍ من قِبل رفاق الأمس، بل بقي وفيّاً لأفكاره وقناعاته الفكريّة والسياسيّة المحميّة بكفاحيّةٍ عاليةٍ، فهو يدافع عن أيّة فكرةٍ تتملّكه بحماسةٍ منقطعة النظير، مع طاقةٍ انفعاليّةٍ كبيرةٍ تجعل كلّ قواه منصبّةً على دفاعه عن قناعاته،فهو يضفي على أفكاره السياسيّة والفكريّة شحنةً عاطفيّةً عفويّةً ناتجةً عن تركيبة عليٍّ العفويّة والصادقة في آن.

ولطالما تمتّع (أبو ميديا) بعقلٍ نقديٍّ لايقبل الركونَ إلى السائد والمستقرّ إنكان في الماركسيّة أو الأحزاب العربيّة بمختلف تلويناتها وأيديولوجياتها. كان دائمَ الحماسة والنقاش لدرجة أنَّ بعضَ الأصدقاء علّقوا عليه في السجن (يا أخي أنت ما بتتعب من السياسة والنقاش).

وبالحماس نفسِه، علّم عليٌّ اللغة الإنكليزيّة للسجناء ولأصدقائه داخل السجن، حيث كان له دورٌ أساسيٌّ في تعليم اللغة الإنكليزيّة كونه كان مدرّساً في مدارس الأونروا ومهتمّاً بالترجمة، وكم من شخصٍ أتقن هذه اللغة في السجن بفعل جهود عليٍّ وآخرين على ملء وقت السجناء الطويل بما هو مفيدٌ وعمليٌّ.

من الناحية الأخرى يتمتّع أبو ميديا وأبو سعيد لاحقاً بغيريّةٍ استثنائيّة، فهو محبٌّ للآخرين ومتفاعلٌ معهم جداً، فحين ضاقت بنا الأحوال في عام ١٩٨٧ وأصبح أكلُ السجن شحيحاً ورديئاً شاركَنا في شغل الخرز رغم وضع نظره غير المريح (فهو يملك عيناً مبصرةً واحدةً)، ورغم وضع أهله الماديّ الجيد، لدرجة أن زيارة أم عليّ (والدته) وبناتها له في السجن تعني الزيارة للجميع، فأمُّ عليّ؛ المرأة الفلسطينيّة القويّة والمتماسكة والكريمة جداً، نادراً ما غابت عن الزيارات، حيث كانت تمرُّ على الشبك لتسلّم على الجميع، وكانت تمضي أياماً عديدةًقبل موعد الزيارة لإعداد طعامٍ يكفي الجميع. كانتبالفعل، رحمها الله، أمّاً للجميع (توفيت عام ٢٠١١).

بعد خروجنا من السجن أواخر عام ١٩٩١، كان بيت عليٍّ في المخيم بيتاً وملجأً للجميع ولكلّ القادمين من الأصدقاء إلى دمشقَ لعملٍ ما، فلا يمكن أن تزورَ عليّا إلا وبيته يعجُّ بالأصدقاء والناس.

كان يتمتّع بقدرة تحمّلٍ كبيرةٍ وصبرٍ يشتهر به الفلسطينيون عموماً، وهو بشكلٍ خاصٍّ على مواجهة الآلام والفواجع، حيث توفّيت ابنته الصغرى (ليديا) ونحن في سجن عدرا، فكان حزنه حزناً نبيلاً لايقف أمام حبه الجارف للحياة.وهكذا كان حين توفّي ابنه سعيد (وهو في الصف الخامس) إثرَ حادثٍ أليمٍ أواخر عام ٢٠٠٧.كان يتحدّث عن ابنه أمام مشفى دار الشفاء وكأنّه أمامه، تحدّث عن شقاوته وعن عزفه الجميل على الناي وقوة شخصيته. والمؤلم في حديث عليٍّ وصف حادث السيارة المروّع قرب النبك، بينما كان سعيد يطربهم بعزفه على الناي في المقعد الخلفي للسيارة.وصادفت مناسبة رأس السنة بعد دفن سعيد ببضعة أيام، لم يحزن عليٌّذلك المساء كما يحزن الآخرون،بل دعا ضيوفه للفرح وبادر هو بالرقص

عمل للفنان عبد الناصر ناجي

وكأن سعيد لا ترتاح روحه إلا بالموسيقى والفرح ولمّة الأصدقاء، فيما كانت روح عليٍّ حينها (كما أعتقد) مسكونةً بالعويل.

وهكذا دائماً في قصته الطويلة مع الموت، حيث توفيت فيما بعد ابنته الكبرى ميديا، وكذلك كان صبوراً قويّاً حين فقد أمه (أم عليّ) أمّنا جميعاً بعد أشهرٍ من بداية الثورة.

حاول عليّ (أبو سعيد) مع آخرين عند بداية عسكرة الثورة والتسلّح،تحييدَ المخيم وإبقاءه ملجأً للجوعى والمشرّدين والمهجَّرين من باقي المناطق،ولكن لماضيه الكفاحيّ الطويل ضدّ النظام، ولعمله بشكلٍ معاكسٍ لخطّة النظام التدميريّة لكلّ البلد، ولاسيّما المخيّم، لتأديبه كونه احتضن المهجّرين وحماهم من الموت، لكلّهذا كان لابدَّ من اعتقال عليٍّ للمرة الرابعة، ليس هذا وحسب بل نكران وجوده في سجونهم، واختفائه من عام (٢٠١٢) حتى اللحظة.

الصديق علي الشهابي، كنْ بخير وعدْ إلينا سالماً فرحاً كما عادتك دائماً.

الحريّة لعلي الشهابي

آرام كاربيت

أبي في سرير الحناء خشب - عمل للفنان عماد رشدان

السجن هو حصنُ الديكتاتور، القلعة التي يسهرفيها على أدلجة مجتمعه كي يحوّلَ الناس إلى أشكالٍ نمطيّةٍ متشابهةٍ على مقاس عقله لإخراج بشرٍ منفصلين عن مصائرهم وشؤون حياتهم وشجون أوضاعهم ومستقبلهم.
المجتمعات الحيويّة، المقاومة، التي ترفضُ الذلَّ والخضوع والضيم، يكثر فيها المعتقلون الرافضون، لشروط الواقع وتسلّط الأنظمة الاستبداديّة مهما كان شكل وقسوة هذا الديكتاتور المريض.
في ثمانينيّات القرن العشرين، كانت سوريا تُعتبر أكثر دولةٍ في التاريخ دخل إلى سجونها سجناءُ سياسيّون نسبةً إلى عدد السكان، ومكثوا عشرات السنين في زنازينهم وأقبية الظلم لرفضهم أحاديّة الرؤية المفروضة على الدولة والمجتمع من قبل نظامٍ منفصلٍ عن الدولة والمجتمع.
لقد عشتُ مثل آلاف السجناء السوريّين في السجن، وتعرّفت إلى مئاتٍ منهم، قبعوا في الظلام والعتمة مرغمين،منهم الأخ والصديق علي الشهابي، الذي قاسمته المكان والزمان ومرارة الحرمان من الحرية والحياة والشمس والضوء، من رؤية الأهل والأصدقاء والأقرباء، من العيش في وطنٍ يمنحنا الحقَّ في العيش الكريم.
أذكر الصديق عليّ وتفانيه في مساعدة رفاقه وزملائه وأصدقائه في السجن. فهو كريمُ النفس والروح، إنسانٌ معطاءٌ دون تذمّرٍ أو تأفّفٍ دفاعاً عن قضيّةٍآمن فيها وعاش من أجلها.
لقد اشتغلنا معاً على عدّة قراءاتٍ لعدّة كتّابٍ ومفكّرين عالميّين وماركسيّين، وعلى كتب التراث في باحة سجن عدرا في دمشق، منهم مهدي عامل وسمير أمين وإسحاق دوتشر وإرنست ماندل، وتعمّقنا في قراءة الواقع والمجتمع السوريّ من زاويةٍ ماركسيّةٍمنحتنا القدرة على الدخول في مفاصل السياسة المحليّة والعالميّة وتناقضات الصراع بين المحليّ والعالميّ، ومعرفة لغة عالمنا المعاصرمن زوايا واسعةٍ.
أذكر زاوية المهجع التي كان يجلس فيها يقرأ طوال الليل، يسهر عندما كنّا ننام. لم يثنهِ مرضُ ابنته الخطير، أو تشتّت أسرته عن الرجوع عمّا آمن به. اعتبر أن الإنسان هو قضيّة القضايا،قضيّة الحقّ في الحياة والسعادةوالمساواةوالعدالةوالحبّوالجمال.
ينظر إلى الأمام،مؤمناً برؤيته وتطلّعاته وثقته بانتصار قضية الحياة والإنسان.
كان فكرُ علي الشهابي ينصبُّ ضدَّ الشكل الجموديّ للماركسيّة، ضدَّ الستالينيّة المتوحشة. ووقف ضدَّ نهج السوفييت في ثمانينيات القرن العشرين، واعتبرأن ستالين كان موجوداً بشخوص القيادة القائمة بعده.
كما كان مع الانفتاح وتعميم الفكر الماركسيّ من أجل الخروج إلى الفضاء العامّ،وبقاء الثورة العالميّة مستمرّةً في كلّ مكانٍ دون تحديد بقعةٍ ضيّقةٍ أو ستارٍ حديديٍّ كما فعل ستالين بالدولة والمجتمع السوفييتي.
لقد عاش علي الشهابي في مخيم اليرموك،كونه من أصلٍ فلسطينيٍّ وترعرع في بيئةٍ قاسية، ومنها اكتسب المرونة في الحوار والمجادلة. وكان يكتب أبحاثاً في السجن، وعندما خرج نشر أعماله وأفكاره، بَيْدَ أنه عاد إلى السجن على إثر اعتقاله مرّةً ثانيةً من قبل الأمن العسكريّ في العام ٢٠٠٦ ومكث لديهم مدّة ستة أشهر.جُلُّ مطالبه هيالعمل السلميّ لنشر أفكاره، وبقي خلال الثورة ناشطاً حراً مطالباً بسلميتها إلى أن اعتقل مرّةً ثالثة في ١٧ كانون الأول من العام ٢٠١٢ وما زال إلى اليوم قابعاًفي السجن.
يبدو أن الديكتاتور يكرر ذاته بأمثاله، نسخته النمطيّة المشابهة لتكوينه. فكما سجن حافظ الأسد علي الشهابي عشرة أعوام، منذ العام ١٩٨٢ إلى العام ١٩٩٢ لم يقصّر بشار الأسد، فكلاهما على خطٍّ سياسيٍّ واحدٍ، أنا والطوفان من بعدي. في هذه الظروف الصعبة نرى أن الثورة أكلت أبناءَها، كما أكل النظامُ الدولة والمجتمع وحوّل سوريا إلى ساحة حربٍ يعبث فيها كلُّالأشرارالعالم.إنَّ»علي الشهابي» وأمثاله مكانهم ليس في السجن،إنما في الهواء الطلق، لكونهم كانوا أوّلَ من نبّه من أخطار التسلّح والتسليح والتدخّل الخارجيّ.
الحرية لعلي الشهابي، الأخ والصديق والرفيق والمناضل والإنسان، والعار لجلّاديه، جلادي سوريا اليوم والبارحة.

علي الشهابي، رفيق النضال

أصلان

إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني
عُنيت فلم أكسل ولم أتبلّد

إنني على ثقةٍ من أن الفتى البكريّ الجسور كان يقصد نفسه عندما أنشد هذا البيت، مع ذلك فإنني أزعم أنه كان يشير بشكلٍ أو بآخر إلى الفتى الفلسطينيّ المندفع في كلّ اتجاهٍ «علي الشهابي» على الرغم من الانفصال الزمنيّ المديد بينهما، لأنه لا قول ينطبق على علي شخصاً وروحاً وفعلاً أكثر من بيت الشعر هذا.

لا أقول هذا الكلام على مجرى العادة في تمجيد المناضلين أحياءً، ولاسيّما بعد افتقادهم وتغييبهم في غياهب المعتقلات المعروفة أو المجهولة، بل أقول ذلك لأن الفتى الفلسطيني – السوريّ المغيّب منذ ثلاثة أعوام يستحقّ بجدارة. أليس هو الذي انخرط منذ نعومة أظفاره في الثورة الفلسطينيّة بحماسٍ واندفاعٍ يليقان بسنّ الشباب؟، ألم يكن ذلك الشاب الذي كان يلبّي نداءً رساليّاً داخليّاً إلى ثورةٍ أمميّة–عربيّة– فلسطينيّة؟، ألم يتجسّد هذا النداء الداخليُّ في الانخراط المبكّر في الثورة المذكورة، حيث شارك بنشاطٍ لافتٍ للنظر في تيارات اليسار الجديد، ولاسيّما اليسار السوريّ منه، وانتهى به مطاف الشباب إلى رابطة العمل الشيوعيّ، ولاحقاً حزب العمل الشيوعيّ في سوريا؟.

أليس اعتقاله الأخير هذا هو الرابع من نوعه بعد اعتقالاتٍ ثلاثةٍ، بدأ أولها في أواسط سبعينيّات القرن الماضي، وثانيها استمرَّ عقداً كاملاً من السنين (١٩٨٢-١٩٩١) وثالثها في ٢٠٠٦ واستمرَّ ٧ أشهر، وها هو اليوم مغيّبٌ منذ (٢٠١٢/١٢/١٧) وحتى الآن.

لم يكتفِ علي الشهابي بالنضال في صفوف اليسار، بل انخرط بالاندفاع المعهود عنه في ربيع دمشق، والمخاض الذي تلاه وزامنه وشارك بفاعليّةٍ واندفاعٍ فيه، وصولاً إلى تأسيس تيار سوريا للجميع، لجميع أبنائها.

ولقد كان أهمُّ ما ميّز هذا الفتى الفلسطينيّ، انصبابَ نشاطه الفكريّ والسياسيّ والعمليّ المبدع في كلّ مراحل حياته، ولاسيّما في القرن الجديد، على دمج النضال الفلسطينيّ والسوريّ في بوتقةٍ واحدةٍ، بحيث دفع إلى الأمام أشواطاً بعيدة قضيةَ النضال السوريّ، بوصفه قضيّةَ الفلسطيني في سوريا بامتياز. وقد ثابر على ذلك بحماسةٍ بعد انفجار الثورة السوريّة في آذار ٢٠١١، وعمل كلَّ ما من شأنه أن يدفع قدماً بهذه الثورة نحو مآلها الوطنيّ الديموقراطيّ والإنساني، مستكشفاً في كلّ وقتٍ المقدّمات التي يمكن أن تؤدّي إلى ذلك. ولم يثنه عن هذا السلوك إلا اعتقاله، وإن شئت اختطافه.

لقد تحلّى الفتى الفلسطينيُّ بالفضائل التقليديّة من الجرأة والكرم والشهامة، وتوّجها بالفضائل النضاليّة السياسيّة، بدءاً من الدينامية الفكريّة والسياسيّة الرفيعة، وصولاً إلى الاستعداد العالي للتضحية، مروراً بتقليب كلّ البدائل العمليّة الممكنة، وكان في كلّ ذلك في مقدمة الصفوف دائماً. وقد افتقدنا بغيابه المديد شخصاً متجذّراً بعمق في كلّ الحقول الشخصيّة والخاصّة والعامّة، وسنظلُّ نفتقد إليه حتى يعود إلينا حرّاً نبيلاً عصيّاً على التدجين مثل مهرٍ بريٍّ جَموح.

الحرية لعلي الشهابي، الحرية لكلّ معتقلي سوريا ولكلّ المخطوفين.

عمل للفنّان أسعد فرزات

علي الشهابي... النتيجة ٢/٣ لصالحنا

براء موسى

عمل للفنّان منيف عجاج

لم تكنْ الجملةُ المقتبسة من كلام عليٍّ في العنوان أعلاه خبراً عن مباراةٍ لكرة القدم، بل كانت حصيلة خمسة أشخاصٍ، كان هو أحدهم، قضى اثنان منهم، وبقي ثلاثةٌ على قيد الحياة. توفي في حادث السير المؤلم هذا ابنه سعيدٌ، وصديقه دانيال، بينما نجا هو وزوجته وابنته، ولربّما لو كان بيننا لابتسم ورفع شارة النصر أيضاً بهذه النتيجة التي اعتبرها رابحةً.

أخمّن أنّ أصدقاء غيري سيقومون بالتعريف عن جزءٍمن تاريخ عليٍّ المعتقل حاليّاً لدى النظام الأسديّ، ضمن الملفِّ الذي يُعدُّ لذكرى اعتقاله الثالثة، وأميل أنا كاتب هذه السطور إلى الابتعاد ما أمكن عن التذكير بتواريخ اعتقالاته العديدة والمثيرة لحكايا طويلة، ربّما لأنني أشعر كما أتمنى أن أقرأ له هذه المادّة ذات يوم أرجوه قريباً، فما نفع ذكرياتٍ عابرةٍ لرجلٍ يخرج من مجلس العزاء في أربعين دانيال عندما سيعرض الأصدقاء فيلماً قاموا بإخراجه عن الفقيدين، يعزف فيه ابنه مقطوعةً موسيقيّةً كانت عرضتها القناة التلفزيونيّة الأشهر قبل أيامٍ من وفاته؟، أو ما الذي يعنيه تذكّر الألم لرجلٍ يُعلّق هذا التعليق على موت صديقه وابنه؟.

أتذكّر قصّةً قصيرةً بمنزلة أمثولةٍ لدى الصينيين عن قيمة العمل، مفادها أنّ ابناً لفلّاحٍ مات صباحاً وهويعمل في الحقل برفقة أبيه، فما كان من الأب إلّا أن أكمل عمله في الأرض حتّى حلّ المساء وانتهى وقت العمل، بعد ذلك قام بإجراءات الدفن والعزاء، وعندما انتهى كلُّ شيءٍ بكى ابنه وحيداً حتى الصباح ثم استأنف العمل في الحقل من جديد.

عليٌّ.. كان مسكوناً بالعمل لأجل القضايا التي يؤمن بها،كما ذلك الأب الصيني، فما نفع التذكير بتاريخه النضالي الطويل جدّاً بينما العمل لمّا ينتهِ بعد؟.

كنت دائماً أقول لنفسي: لابدَّ ويأتي يومٌلروايةٍعن هذا الإنسان بخصاله النادرة، هذا النبّاش للضحك من أعمق المآسي والأحزان البشريّة، بالطبع ليس الضحك من أجل الضحك، وحتماً لغاياتٍ أخرى تليقُ بنُبله وحبه للحياة.

طائرة عليٍّ الورقيّة هي الحرية بمعناها الشامل، حريصٌ عليها كطفلٍ، يربطها بإصبعه كمحبسٍ لعلاقةٍ أبديّة، ويلاحقها أينما توقّع وجودها، باتجاه الريح أو عكسه، عناده لا يتوقف عند حدٍّ في سبيلها، لا يكتفي بالأحلام الرومانسيّة حولها، يبادر بشجاعةٍ لأقلّ فرصةٍ ربّما تجعلها واقعيّة، شطحاته وهواجسه بالحريّة ليس لها حدود أبداً، لا يتوقف عن تنفسّها لحظةً والمطالبة بتوزيعها العادل.

ولأنّ لكلِّ بشريٍّ نقطةَ ضعفٍ ترهقه، فإنّ النبْلَ وحده هو ماكان حِمْلَ«عليٍّ» الثقيل، ويُخطئ القائل إنّ النظام الأسديَّ الهمجيّ وحده حاصر علي طوال عمره، قبل الثورة بربع قرنٍ وخلالها، فالرجل كان منذوراً لنبله وأسيراً له، واعتقالاته الكثيرة ليست سوى فصولٍ من اعتقاله البنيويّ لصالح النبْل.

محكوماً بالشهامة والنبل،وأثناء الثورة في بداية طورها ما بعد السلميّ، عاد عليٌّ إلى المخيّم بعد بضعة أيّام فقط من خروجه من براثن الهمجيّة التي طالما أرادت أن تتحكّمَ بالهواء الذي يتنفّسه الناس،وكان أنّ الهمجيّة ذاتها بوجهها خطفت علي الشهابي كما الأب باولوفي الوجه الآخرللهمجيّة العدميّة ذاتها.

بمنطقه النبيل كمقامر، يربح عليٌّ (على طول الخط). الخسارةُ والربح لا قيمةَ لهما في موازين النبل، ولا غرابة أبداًفي أنه عندما يعود سيحتفل بالنصر –كما في كلّ مرّة- بفارق هدف.

هذا العاشق للحياة والحريّة بنهمٍ زورباويٍّ ونشاطٍ فائضٍ، ترك بين أيدينا، نحن الأصدقاء (مجروحي الشهادة)، الكثيرَمن الحكايا والقصص، ومنها ما أحتفظ به أنا من ذكرياتٍ شهدتها معه، أو رواها لي هو كقصّة المفاتيح مثلاً:

في بدايات اعتقاله الطويل في آذار لسنة ١٩٨٢كان قبل جلسات التحقيق المؤلمة والقاسية قد سلّم مقتنياته الشخصيّة لقسم الأمانات في أحد المعتقلات، وطوال فترة التحقيقات كان يهجس بشيءٍ واحدٍ فقط: كيف سيهرب من دليل المفاتيح العينيّ إذا ما سأله المحقّقون عن أصحابها من

الأصدقاء؟، وفي هذه الحالة (المي تكذّب الغطّاس) عندما يقومون بتجريبها في الأقفال التي سيدلّهم عليها مُكرهاً، ويهجس طوال فترة التحقيقات والسجن أيضاً في الأمر لاختراع قصصٍ قد تفيد في إبعاد الشبهة عن هؤلاء الأصدقاء أصحاب البيوت الذين إئتمنوه عليها للتخفّي وقت الحاجة، ثمّ يُنهي القصّة ضاحكاً بشغفٍ أنّه استلم المفاتيح من الأمانات بعد عشر سنواتٍ من الاعتقال دون أن (يلتكش) فيها أحد.

ذات مرّةٍ، وبعد أمسيةٍ ذات أبعادٍ سياسيّةٍ وثقافيّةٍ، قلتُ لأصدقائي الذين شاركونا في تلك الأمسية الطويلة: هل لمستم أنّ هذا الرجل كان معتقلاً سياسيّاً سابقاً؟، اندهش الأصدقاء لأنهم اعتادوا على سماع قصص المعتقلين من خلال ما يتحدثون به، واندهشوا أكثر عندما فاجأتهم بأنّه فلسطينيٌّ أيضاً، فما كان أحدٌمنهم آنذاك يتوقع هذه الحماسة الفائضة في السياسة لشأنٍ سوريٍّ بحت.قضيّة عليٍّ كانت، بالفعل ليس بالقول،عابرةًللقضايا المتخصّصة، أزعم أنّ الإنسان أينما حلَّ كان قضيّته المركزيّة.

عشراتٌ من القصص أختزنها بذاكرتي المشتركة مع عليٍّ وعنه، وعندما أناقشُ أو أجادل في موضوعٍ ما، أعجز فيه عن التعبير أو إيصال الفكرة، أقول لمحدّثي بصوتٍ مضمرٍ في القلب: انتظرني ريثما يعود عليٌّ فأعود إليك، وهل من السهل إقناع أحدٍ ما في حلكة السواد هذه بأنّ حكمَ الإعدام مثلاً غير عادلٍ كما شرحه لي ذات مرّة؟، فقط عليّ، كان يفعلها كسحر.

عليٌّ، الإنسان قبل أيِّ شيءٍ آخر، كان مُشاكساً سياسيّاً بامتياز، ولطالما اتفق أو اختلف في آرائه مع الآخرين، حيث لايملُّ أبداً من إزكاء جذوة النقاش والعمل حتّى في المُسلّمات، لعلّه يجد خيطاً ما ليجدله مع خيط طائرته إلى الحريّة التي ما انفكّت غايته النبيلة منذ وعيه الأوّل.

ذات سهرة رأس سنة، بُعيدَ وفاة ابنه بأيّامٍ،اختصرت أخت عليٍّ إنسانيّته بجملةٍ واحدة، قالت فيما أذكر:«ربّما يظنّ الناس أننا في مأتمٍ يبتلعه الحزن والشجن، لكننا عكس ذلك، نحتفل بليلة رأس السنة، ومن النادر أن يحصل ذلك في غير بيت علي الشهابي».

لاحقاً.. سأذكّره بمادّتي هذه التي سيحوّلها إلى نكتةٍ، ونضحك طويلاً معاً.

عمل للفنّان محمد عمران

علي الشهابي في ترحاله الدائم

بكر صدقي

بخلاف معتقلين وأسرى آخرين لدى النظام، أو مجموعاتٍ إرهابيّةٍ كداعش، لم يحظَ علي الشهابي بكثير الاهتمام من الرأي العامّ، ربما لأنه «يتيمٌ» بالمعنى السياسيّ. لم يكن منتمياً، عند اعتقاله الأخير، إلى إطارٍ سياسيّ أو حقوقيّ أو جماعةٍ إيديولوجيّةٍ ما. هذا لا يعني أنه من النوع المنزوي أو المتفرّغ لحياته الخاصّة، بل لأنه في بحثٍ دائمٍ لطالما انتهى به، في كلّ مرّةٍ إلى السجن. هو الفلسطينيُّ– السوريّ، أو بعبارةٍ أكثر دقةً، السوريُّ من أصلٍ فلسطينيّ، الذي رأى نفسه دائماً في قلب «المشكلة السوريّة» إذا جاز التعبير. وأعني بها وضعيّةً خاطئةً لبلدٍ لم يستقرَّ على حالٍ طبيعيّةٍ طوال تاريخه القصير نسبيّاً. ليس هنالك بلدٌ في العالم بلا مشكلات، صحيح هذا، لكنّ سوريا مشكلةٌ بذاتها بالمعنى الكيانيّ. فلا مساحتها الصغيرة نسبياً سمحت لها بأن تكونَ إمبراطوريّةً كما يفترض تكوينها المتنوّع، ولا كانت قادرةً على الاكتفاء بصفة الدولة الصغيرة الأحادية المكتفية بذاتها في محيطٍ مضطربٍ ومتداخل، ولا تمكّنت من التكيّف مع حالة «الإقليم» التابع لدولةٍ أكبر، كما علّمتنا تجربة الوحدة مع مصر الناصريّة. وإذ ابتليت بنظامٍ مافيويٍّ مجرمٍ صُمِّمَ على أساس الأبديّة، واتضح على ضوء ثورة آذار ٢٠١١، أنه لا يمكن اقتلاعه بغير إرادةٍ دوليّةٍ فاعلةٍ، ناهيكم عن إمكانيّة إصلاحه بآليّاتٍ ذاتيّةٍ أو بالإرغام، باتت سوريا مشكلةً أبديّةً كنظامها الذي عمل بدأبٍ على تخريب الكينونة الاجتماعيّة للسوريّين.

ربما هذا الوعي بالمشكلة السوريّة هو ما دفع عليّاً، في مطلع القرن، إلى البحث عن حلٍّ لها من خلال الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي! إنها فكرةٌ مجنونةٌ حقّاً لا تخلو من سذاجةٍ سياسيّة، ليس بسبب ما قد تثيره من اعتراضاتٍ إيديولوجيّةٍ (وطنيّة)، بل بسبب الانغلاق الأوروبيّ على الذات الذي يزداد تفاقماً باطّراد، قبل أيّ اعتبارٍ آخر. ولا تقلُّ سذاجة الوسائل التي لجأ إليها عليٌّ في نشر فكرته بحثاً عن مؤيدين لها. شهدتُ، ذات مرة، كيف يوزّع نسخاً من كتابه «سوريا إلى أين؟» الذي كان طبعه على حسابه. رافقته إلى وكالة السيارات التي يدفع لها أقساط سيارته، كان هناك في المكتب زائرٌ آخرُ هو طيّارٌ سوريٌّ برتبة عقيد، سرعان ما نسج عليٌّ معه خيوطَ تعارفٍ ودودٍ انتهى بأن حاول إهداءه نسخةً من الكتاب. كان ردُّ العقيد الطيار صدّاً مهذباً ورفضاً للهدية. سألتُ عليّاً، بعد مغادرتنا المكتب، ما الذي جعله يتوقّع أن يقبلَ طيّارٌلدى النظام كتاباً سياسيّاً من خارج «مكتبة النظام»؟، فتذرّع بأن الكتابَ مطبوعٌ في سوريا بموافقة الرقابة في وزارة الإعلام! كأنه لا يعرف هذا النظام الحريص على عذريّة الفكر وعقمه التامّ لدى عناصر «دولته»، فما بالك إذا تعلّق الأمر بأخطر مؤسسةٍ من مؤسساته الأمنيّة ألا وهي الطيران؟. ولا يغيّر من الأمر كثيراً أن طيّارنا المعنيَّ يعمل في الطيران المدنيّ، فالطيران عند النظام هو الطيران.

ولكن هل تقلُّ سذاجةً محاولة السوريين، في ثورة آذار ٢٠١١، إسقاط هذا النظام بالوسائل السلميّة، أو مراهنتهم على تدخّلٍ دوليٍّ يوقف قتلهم اليوميّ منذ تلك اللحظة؟، أعني أن نظاماً استثنائياً في إجرامه وتحجّره كنظام الأسد، وكياناً إشكاليّاً منذ نشأته، كالدولة السوريّة، لا يتركان أيَّ هامشٍ للحسابات العقلانيّة الدقيقة، ولا بدَّ أن تتّسمَ أيّة أفكارٍ تغييريّة تحرريّة بقدرٍ متفاوتٍ من السذاجة والدون كيشوتية. وقد ابتلع النظامُ الدولة إلى درجةٍ باتت أيُّة محاولةٍ لتغييره تدميراً لها، الأمر الذي تعلّمناه، أثناء الثورة، بصورةٍ عمليّة، في درسٍ من أقسى دروس التاريخ وأكثرها مأساويّة.

أتذكر نقاشاً حادّاً جرى بيني وبين عليٍّ بعد أول مظاهرةٍ خرجت في سوق الحميدية في دمشق، اعتبر أنّ الدعوات إلى إطلاق الثورة السلميّة، على غرار ما حدث في تونس ومصر، مقامرةٌ بمصير الناس، لمعرفته بمدى شراسة النظام في تمسّكه بالسلطة. ورغم مشاركتي له في هذه المعرفة، كنتُ أكثرَ تفاؤلاً منه في إطار مناخ الربيع الذي أطلقته ثورة تونس وما تلاها. وكان جوابي هو: لستُ أنا من أطلق الدعوات للتمرّد الشعبيّ، فلا تحمّلني مسؤوليّة مصير الناس. لم يكن جوابي شخصيّاً، ولا اعتراضه، فقد «حدثت» الثورة فعلاً بصورةٍ مستقلّةٍ عن المعارضة القديمة الحالمة. وما كان كلامُ عليٍّ يصدرعن جبن، ففي صباح اليوم التالي كان من أوائل الواصلين إلى منطقة المرجة للمشاركة في مظاهرة أهالي المعتقلين أمام وزارة الداخليّة. تلك المظاهرة التي واجهها النظام بعنفٍ واعتقل فيها عدداً كبيراً من المتظاهرين.

أوّلُ ما يخطر في البال من صفات عليٍّ هي الشهامة. هذا ما يتّفق عليه كلُّ أصدقائه ومحبّيه ومعارفه. وقد نالني من شهامة عليٍّ نصيبٌ كبيرٌ. حين اعتقلت تهامة، في شباط ٢٠١٠، اتصل بي، بعد طول انقطاعٍ في التواصل بيننا، وأعلن عن استعداده لفعل كلّ ما يستطيع لمساعدتي على مواجهة مصابي الشخصي. لم يكن كلاماً يقال، بل أرفقه بالفعل الفوريّ. طوال سنةٍ وأربعة أشهرٍ أمضتها تهامة في السجن، التزم معي كما لو كانت مشكلتي هي مشكلته. عرّفني إلى محامين، وبحث لي عن حلولٍ ومداخلَ و«واسطات»، ورافقني بسيارته في كلّ زيارةٍ إلى السجن، وفتح لي بيته، وعرض علي أيّة مساعدةٍ قد أحتاجها. لا تتمثل شهامة عليّ في تقديم كلّ ذلك، بقدر ما تتمثل في طريقته في تقديمها: كأنه يمارس أيّاً من الأعمال اليومية المألوفة، لا يترك لك مساحةً لشعورٍ بالامتنان.

كتب، ذات مرة، نصّاً بديعاً حول الفروقات السيكولوجيّة بين الرجل والمرأة، فكرتها الأساسيّة هي أن الرجلَ يميل إلى الترحال، في حين تشدّه المرأة إلى الاستقرار. وأسند فكرته هذه إلى العلاقة النمطيّة المشهورة بين أوديسيوس وبنيلوبي التي كانت تحيك الكنزة الصوفيّة، وتفكّكها قبل اكتمالها، ثم تعيد حياكتها، بانتظارعودة زوجها من الحرب، لإبعاد خُطّابها الكثر بحجة إكمال حياكة الكنزة.

في حياة علي الشهابي شيءٌمن هذا الترحال الدائم بين الأماكن والأفكار والمعتقلات والسجون. اعتقاله الأخير، منذ سنتين، كان على أرضيّة نشاطه الثوريّ في مخيم اليرموك. لا أخبار عنه أو عن مكان احتجازه. سيعود عليٌّ، يوماً، ليجد هوازن وقد سبقته، هذه المرّة، في السفر، كحال ملايين السوريّين الذين دفعتهم وحشية النظام إلى بلدان اللجوء القريبة والبعيدة. عليٌّ جزءٌ من الأوديسة السوريّة التي لا تنتهي.

زمن الغيلان وزمن الأحرار.. «علي الشهابي» نموذجاً

برهان ناصيف

مساءَ ذلك اليوم، وليس كغيرهِ من الأيام، من سنة(١٩٨٣)، نقلتنا دوريّةٌ من الفرع صباحاً إلى «كركون الشيخ حسن» على كتف مقبرة باب الصغير من فرع الأمن السياسيّ في «الميسات»، ووضعتنا المفرزة في الجماعيّة العليا، كانت آثار الفرع مازالت قابعةً في النفسِ والعيون.

فتح أحدهم باب الجماعيّة وأدخل سجيناً يحمل بطانياته وأوصاه أن «قعود آدمي عاد»، ضحك السجينُ، وضع بطانياته في وسط الجماعيّة فنهض السجناء القدامى يسلّمون عليه ويهنؤونه بالسلامة.

انتهت حفلة الاستقبال، سحب السجين ورقةً من جيب بيجامته من أوراق علب الدخان وخاطب سجيناً باسمه، وبدأ يقرأ قصيدةً غزليّةً وحارقةً بدفئها عن امرأةٍ يبدو أنه يحبّها. أنهى القراءة وضحك على ثناء السجناء القدامى، ثم التفت إلينا نحن المتكوّرين في إحدى الزوايا، وألقى علينا التحية «مرحبا شباب، أنتو الشباب الجداد من الفرع؟»، كانت ابتسامته ونبرته مشجّعةً وتنمُّ عن معرفةٍ بالقادمين الجدد، فبادرنا إلى الكلام مجتمعين، ويبدو أنه ميّز اسم أحدنا، فنهض من مركز الجماعيّة وجاء إلينا مصافحاً ومقبّلاً كلًّا منّا «الحمد لله على السلامة، أنا علي الشهابي.. معتقل حزب عمل شيوعي».

عليٌّ وقف فيوجه المخبرين داخل المعتقل ودعا المعتقلين الآخرين إلى مقاطعتهم، فاستحقَّ العقوبة الانفراديّة لشهرين، وعندما قلنا له إنّ من غير المجدي مواجهة المخبرين ضحك، وعبّر عن ارتياحه وكأنه قد أدّى واجبه تجاه الوطن.

عليٌّ، الذي كان له موقفٌ من الحزب ومن التنظيم، أظهر تماسكاً والتزاماً قلَّ نظيره تجاه أبناء التجربة وثمنها الباهظ الذي سيدفعه طوال عمره، فقد كان مفصولاً من الحزب ومحسوباً على الجناح «التروتسكي».

بعد خروجنا عشية عام (١٩٩٢)، وكان قد أمضى عشر سنواتٍ داخل المعتقل، سارع للعمل السياسيّ ولم يقف يوماً على الحياد، وحاول بشتّى السبل التواصل مع منظمات حقوق الإنسان لإيصال أصوات المعتقلين الذين نسيهم العالم. وخلت شوارع المعارضة وقتها من كلّ نشاط، فاستدعته الأجهزة الأمنيّة وأوقفته لعدّة أيامٍ من أجل بعض المساعدات التي قدّمها للمعتقلين.

سنة (٢٠٠٤)، أسّس وبعض رفاقه القدامى تياراً يساريّاً ديمقراطيّاً،فأوقفه الأمن السياسيُّ خمسة أشهر لذلك السبب. وعليٌّ الذي انتظر الثورة، لم يهدأ ولم يستكن لحال الحركة المعارضة للسلطة. دفع ثمن هذا الموقف اعتقالاً.. علي الشهابيابتلعه الغول منذ أيلول (٢٠١٢) وحتى الآن، ولا ندري إن كان شهيداً ميتاً أمْ شهيداً حيّاً، لا ندري هل سيرى زوجته وطفليه، أخواته، منزله في مخيم اليرموك؟ هل سيرى حرية سوريا التي اعتبرها الأم لحرية فلسطين، وهو الذي طالما اعتبر سوريّته شرطاً لفلسطينيّته ومدخلاً إلى مفهومه عن المواطن الحرّ؟.

عمل للفنّان محمود السعدي

علي الشهابي .. صاحب مشروعٍ سياسيّ

خالد أبو عيسى

اعتُقل الناشط السياسيُّ الفلسطينيُّ السوريُّ علي سعيد الشهابي، في أواسط شهر ديسمبر/ كانون الأول من عام ٢٠١٢، عند حاجز شبّيحة شارع نسرين التابع للمخابرات السوريا، في منطقة مساكن الزاهرة شمال مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين، ولايزال مصيره مجهولاً منذ ذلك الحين، وتمرُّ في هذه الأيام الذكرى السنويّة الثالثة على اعتقاله الذي ترافق مع خروج أهالي المخيم منه، حين قامت قوات النظام السوريّ بقصفه بطائرات الميغ الحربيّة، وارتكبت المجازر البشعة بحقِّ المدنيين فيه، بحجّة وجود مسلّحين من المعارضة السوريّة داخله.

لقد شكّل دخولُ المخيم في حلبة الصراع الدائر في سوريا نقطةَ انعطافٍ أساسيّةٍ في تاريخ الثورة السوريّة، يبدو أنها كانت مغيّبةً لدى المعارضة السوريّة آنذاك،لكنّها كانت موضوعَ نقاشٍ أساسيٍّ أثاره النشطاء السياسيّون الفلسطينيون أثناء الحرب التي راح النظام السوريُّ يشنّها على شعبه لقمع ثورتهم المجيدة، وهي تتعلّق بموضوع حياد المخيم عن قضية الصراع الدائر بين النظام والشعب السوريّ، ولكن لم تكن هذه القضيّةُ وليدة اللحظة الراهنة، بل إن جذورها تعود إلى مرحلة السبعينيّات،حين كان النظام السوريُّ يدّعي أنه يقاوم العدوَّ الصهيونيَّ وأنه يرفع شعار تحرير فلسطين كما هي باقي الأنظمة السياسيّة العربيّة القوميّة. طرحت في تلك المرحلة على أجندة القوى السياسيّة المتصدّرة للصراع العربيِّ الإسرائيليِّ مشاريع سلامٍ مع إسرائيل «النقاط العشرة»، ادّعى النظام السوريُّ رفضه لها، وقام أثناء ذلك باعتقال مجموعةٍ من النشطاء السياسيّين، ومن بينهم الناشط علي الشهابي، لأنهم رفعوا شعاراتٍ ترفض تلك المشاريع السلميّة، واعتبروها استسلاميّةً، وكان ذلك خلال مسيرة شهداء معالوت أواخر عام ١٩٧٤، وقام النظام السوريُّ باعتقال عليٍّ ومجموعة النشطاء، مؤكّداً بذلك زيف ادّعاءاته عن المقاومة والممانعة، وأن الورقة الفلسطينيّة ليست إلا وسيلةً يستخدمها النظام السوريُّ لتثبيت دعائم حكمه الدكتاتوريّ على رقاب الشعب السوريّ.

اعتقل علي الشهابي عام ١٩٧٥، وبقي في سجن المزة لمدّة عامٍ كاملٍ، وخرج بعد ذلك ليعملَ على تأسيس مشروعه السياسيّ المتعلّق بجدليّة العلاقة الفلسطينيّة السوريّة في سوريا تحت حكم نظام الأسد الممانع، راح عليٌّ بذلك يبيّن أن طبيعة هذا النظام الدكتاتوريّة لا تؤهّله على خوض صراعٍ حاسمٍ مع العدوِّ الصهيونيّ، لأنه يستفيد من إدامة وإطالة هذا الصراع من أجل تثبيت دعائم حكمه لسوريا.

عمل مشروع عليّ في أواخر السبعينيّات على إثارة حوارٍ مطوّلٍ بين النشطاء السياسيّين الفلسطينيّين والسوريّين على اختلاف انتماءاتهم السياسية، هو أنه لا بدَّ من اعتبار الفلسطينيّين السوريّين في سوريا مواطنين سوريين، وأنه يجب أن يتواءم نضالهم الوطنيُّ مع النضال الاجتماعيّ السوريّ، وبالتالي فهم معنيّون بقضيّةالمعارضة السياسيّة للنظام كباقي فئات الشعب السوريّ، وضرورةالانخراط بأيّة ثورةٍ يكون هدفها إقامة الديموقراطيّة على الوطن السوريّ، وإن هذا لا يلغي الخصوصيّة الوطنيّة الفلسطينيّة كما كان يدّعي بعضهم، بل هو يقوّيها و يدعمها.

عمل علي الشهابي في تلك المرحلة على إثبات مشروعه السياسيّ في تأكيد أن الفلسطينيَّ والسوريَّ واحدٌ. وأن على الفلسطينيّين السوريّين أنيناضلوا ضدّ العدوِّ الصهيونيّ من خلال تواجدهم في صفوف المعارضة السوريّة، وبناءً عليه لم ينتمِ عليٌّ إلى أيّ فصيلٍ فلسطينيٍّ من فصائل منظمة التحرير الفلسطينيّة صاحبة برنامج النضال الوطنيّ الفلسطينيّ، بل انضمَّ في عام ١٩٨١ إلى صفوف حزب العمل الشيوعيّ السوريّ المعارض للنظام الدكتاتوريّ، وكان يعمل على إسقاطه منذ تأسيسه في ذلك الحين، واعتبر الشهابي أن مشروع النضال الوطنيّ

عمل للفنّان عبد الناصر الناجي

الفلسطينيّ هو مشروعٌ ديمقراطيٌّ في سوريا خصوصاً والمنطقة عموماً، بسبب أن النظام الطاغي في سوريا يعمل على إعاقة تحرير فلسطين، ويستخدمها ورقةً يلعب عليها في قمع شعبه. أكد عليٌّ في حواراته داخل الحزب على ضرورة إثبات ذلك في أدبيّات الحزب، وفي برنامجه السياسيّ، وراح يناضل بين صفوف حزب العمل ليؤكّدَ أنه لا يمكن الفصل بين الفلسطينيّ والسوريّ، وأن تأسيس المشروع الديموقراطيّ في سوريا هو نقطة ارتكازٍ أساسيّةٍ لا بدَّ منها للعمل على استعادة الأراضي الفلسطينيّة والسوريّة المحتلة.

اعتقل عليّ في عام ١٩٨٢ من قبل الأمن السوريّ بتهمة الانتماء لحزب العمل الشيوعيّ، ولم يرَ مشروعُه السياسيُّ النورَ، وبقي في السجن قرابة ١٠ سنواتٍ، خرج بعدها من المعتقل عام ١٩٩٢، وتابع بعنادٍ، لا يعرفُ الانكسار، مشروعه الذي بدأه في أواخر السبعينيّات، وعمل على تطويره و أصدر كتاباً حول ذلك في عام ٢٠٠٥ عنوانه «سوريا إلى أين؟»، صاغ فيه أفكاراً أصبحت شعاراتٍ رفعها المتظاهرون السوريّون والفلسطينيّون في المظاهرات أثناء الحراك السلميّ في الثورة السوريّة. يمكن تلخيص تلك الأفكار بأنها تركزت حول: أن تكون سوريا للجميع، والدعوة إلى بناء سوريا على أسس الديمقراطيّة العلمانيّة التي تحمي الحريات العامّة والخاصّة للمواطنين السوريّين باختلاف كلّ انتماءاتهم الدينيّة والقوميّة والعرقيّة، ورفض التعصب والطائفيّة، ولهذا لايزال الشهابي مغيّباً في سجون النظام،مجهول المصير إلى الآن بعد ٣ سنواتٍ من اعتقاله.

كما لو أنّ السماء تنزف

رائد وحش

نؤرّخ لأعمارنا بالموتى، بالبيوت المهدّمة، بالنازحين..
خياراتنا واسعةٌ في تقويم الموت.

*

سِيَرُنا كتبها رجالُ الأمن في العالم العربيّ، ولم يسمحوا لنا بمجرد الاطّلاع..

*

الجهاديّون يبيعون الحشيشَ.. ثم يقيمون عليك الحدَّ بتهمة التعاطي!!

*

الجوُّ أحمرُ كما لو أنّ السماء تنزف..

*

واقع القتيل خيال الأحياء..

*

يُولد المرءُ شجاعاً كي يتعلّم الخوف...!!

*

لم يتركونا لشؤوننا الصغيرة، حتى فرصتنا في أن نملَّ سلبوها..

*

جمالكِ هو الديكتاتوريّة الوحيدة التي أؤمن بها

*

نفرح لانتخابات الآخرين..
نتغنّى بديمقراطيّة الآخرين..
نحلم بعدالة الآخرين..
لكننا، في ساعة الجدّ، لا نستحضر إلا همجيّة الآخرين..

*

أمسِ تذكّرتُ حين كنّا نسيرُ في دمشق وتعانقنا عندما دبَّ الانفجار. يومها كان العناق المباغت نوعاً من التشبّث بالحياة. لحظاتٌ فقط ثم تفقدّنا أنفسنا، اطمأنّينا على سلامة أعضائنا، وبعدها أكملنا المسير، كلٌّ على حدةٍ. غادرتِ.. فتبعتكِ لأننا نحتاج إلى إكمال ذلك العناق.

*

عندما انتشرت أعمال الفنان «أكرم أبو الفوز» على «فيس بوك» انتشاراً كبيراً، حيث رأيناه يرسم على بقايا القذائف والأسلحة. ثمّة من رأى الأمرَ تجميلاً للموت، وثمّة من رآه بمنزلة صلواتٍ صوفيّةٍ مكتوبةٍ بـ«الرقش». بالنسبة لي، هذه الترقيشات جزءٌ من حاضرٍ تراجيديٍّ شديد الارتباط بماضٍ تراجيديٍّ هو الآخر، وعلى ضوئها ينبغي أن نعيدَ النظر إلى فكرتنا عن هذا الفنِّ في واجهة الجامع الأموي، وفي أثاث البيت الدمشقيّ، على اعتبار كلّ ذلك «الأرابيسك» مرثيّاتٍ مشفّرةً من الأسلاف.

عالم نوح - عمل للفنّان أسعد فرزات

عمل للفنّان أسعد فرزات

حين أكتب عن علي، عن روح لا تُهزم

راتب شعبو

عمل للفنّان محمود السعدي

حين أكتب عن علي، أراني أكتب عن آلاف السوريين الذين قادهم أملهم وحلمهم وجرأتهم إلى أسوأ أنواع السجون. السجون الأسديّة التي لا تقتصر وظيفتها على حجز حرية المسجون، بل وعلى قتل روحه ثم قسرها، في حالات تعد بالآلاف، على مغادرة الجسد بأبشع الصور الممكنة. هل هناك درجة أخلاقية أدنى من أن «تتقاوى» أجهزة أمن دولة على مسجون فلا تكتفي بتعذيبه وإهانته بل وتتركه فريسة للموت بالجوع والمرض؟.

في سنوات حياته يحمل عليٌّ شهادةً من لحمٍ ودم على تاريخ الاستبداد الأسديّ للأب والابن. ذاكرةُ السجن الخاصّة بعليّ تمثل بانورما للسجون الأسديّة. تبدأ باكراً من سجن المزة حين كان عليّ في التاسعة عشرة من عمره، وتتالى بعدها إلى الشيخ حسن وعدرا في عهد الأب، إلى أمن الدولة في كفرسوسة، ثم فرع فلسطين، بطل اعتقاله الأخير والذي لم يُعرف بعده عن عليٍّ أيّ شيء كآلاف الشباب السوريين، في عهد الابن.

يشير تكرار اعتقال علي إلى أمرين، الأوّل هو أنّ نظام الأسد لا يتحمل وجود أمثال عليٍّ خارج السجون، والثاني أن عليّاً لا يستطيع السكوت على مثل هذا النظام، أو التأقلم معه. ويمكن القول إنّ مشكلة عليٍّ مع النظام الأسدي ليست سياسيةً فقط، بل وشخصيةً أيضاً. مفهوم أن هذا النمط من الأنظمة لا يستطيع قبول المختلفين سياسياً ويستخدم كل طاقة الدولة القانونية وغير القانونيّة لمسح أيّة معارضة سياسية. ولكن فوق ذلك، لا يستطيع هذا النظام قبول الشخصيّة الحرّة ذات الكرامة، حتى لو كانت مواليةً سياسيّاً. كي يرضى النظام عن شخصٍ يجب أن يكون موالٍ دون تردد، وضعيف الحساسية تجاه كرامته الشخصيّة أيضاً. الكرامة الشخصية خصمٌ من خصوم الأنظمة الشبيهة بالنظام الأسدي. لصاحب السلطة الأعلى أن يتعدى على كرامة من هو أدنى منه، وعلى هذا أن يمرر الإهانة بشكلٍ ما أو أن يُلفظ ويُحاسب بشكلٍ ما. في الداخل يكون «لسيد الوطن» السياسة والكرامة كلها من قبل ومن بعد، وله مع الخارج أن يمارس ما يفرض على أعوانه وشعبه من بخس في السياسة والكرامة.

بين اعتقالات علي المتكررة، ثمّة اعتقالٌ عابرٌ غير سياسي، له دلالة على الطبيعة الشخصية لعلي، والتي تشكّل بحدّ ذاتها خصماً للنظام الأسدي.

في طريق عودته إلى بيته في شارع فلسطين (على الأغلب في ١٩٩٢، أي بعد فترةٍ وجيزةٍ من الإفراج عنه عقب سجن مديد وصلت مدته إلى أقل من عشر سنواتٍ بقليل)، استوقفت علي دورية شرطة. سأله الشرطي عن اسمه فأجاب: أنا علي الشهابي. فكان من الشرطي الذي من طبيعة وظيفته أنه يتشرب شخصية النظام، كما تتشرب الاسفنجة السائل،أن قال: «إي طز فيك!». لا ينتظر الشرطي من «المواطن» سوى أن يبتلع الإهانة بطريقةٍ ما. أن يسكت مثلاً أو أن يتفادى الرد بضحكةٍ فارغةٍ مبطّنةٍ بالخوف، أو أن يقول للشرطيّ «كما تريد» متلهفاً للحظة الخلاص، أو أن يقول «حاضر حضرة الرقيب أول» كما كانوا يلقنونها لبؤساء سجن تدمر العسكري ..الخ. الشرطيّ الأسديّ يحتاج إلى مواطنٍ أسديّ. غير أن علي لم يكن ذاك «المواطن»، فردّ على الإساءة «بأحسن» منها. يومها لم يصل علي إلى بيته، بل إلى أحد مراكز التوقيف. ويُكمل عليٌّ القصة بالقول إنه عومل باحترامٍ من جانب الموقوفين هناك، وأفسحوا له مكاناً جيداً للجلوس، لأنه كان يرتدي سترةَ جلدٍ جديدة وفخمة، بحسب تفسيره. واستنتج بطريقته الساخرة كالعادة: «جاكيت فخمة أهم من دستة برامج»، لاعباً على قولٍ شائع للينين كثيراً ما يكرر عليّ أنه رجل لا يصلح إلا للسياسة. وهولذلك يبحث في كلّ شيءٍ يقرؤه عن الجانب العملي. الثقافة بالنسبة له دليل عمل. ولأنّ علي يرى أن كلّ وجهة نظر يترتب عليها سياق عملي ما، وتستدعي السير عملياً باتجاهٍ ما، فإنه لا يفهم النقاش على أنه مجرّد تبادلٍ لوجهات النظر. يصعب عليه ترك ميدان النقاش بلا حسم، فتراه يناقش بحماسٍ وانفعال وكأنه يريد أن يُقحم دماغه في رأسك لترى ما يرى. وبالفعل يميل علي إلى الفعل أكثرمن ميله إلى النظر، ولهذا قد يبدو

في نشاطه بعض التسرع وربما الانفعالية. مثلاً، حين يرى في الأفق مخاطر حربٍ طائفيةٍ في سوريا، يبحث على الفور عن إجراءاتٍ عمليةٍ ينهض بها لتفادي ذلك. فتحت ضغطٍ ما بدا له خطر تفعيل التمايزات العرقيّة والطائفيّة في سوريا، باشر عليّ بالعمل لتنفيذ فكرته في تشكيل تيار سوريٍّ جامعٍ أسماه «سوريا للجميع». وحرث سوريا شرقاً وغرباً في تنفيذ ما كان يبدوله عاصماً لسوريا من الانزلاق الطائفيّ والعرقيّ. واعتقل لهذا السبب. هذا بابٌ آخر للعلاقة العدائية «العضوية» بينه وبين النظام الأسدي. أن تفكر كما تشاء دون أن تقدم على الفعل، فهذا مما لا يثير كثيراً حساسية المخابرات الأسدية التي تسلّم بقضاء الله وقدره، وإن كان دون رضى، أنها عاجزة عن التحكم بتفكير الفرد، لكنها تعوّض عن ذلك بسعيها الحثيث للتحكم بما يبدر عنه من أفعال. أن تسعى لترجمة تصوراتك إلى فعل، فهذا ما سيضعك مباشرة على المقصلة الأسديّة، .وهذا هو حال عليٍّ مع نظام القتل والتمييز لا يبدو أن عليّاً يبذل أي جهدٍ حين يمارس كرمه أو شهامته أو مروءته، تبدو هذه الخصال أصيلةً لديه إلى حدٍّ أنّها تنبجس من شخصيته كما ينبجس ماء النبع. فهو لا يستطيع أن يكون غير ذلك. وقته وبيته وما يملك مبذولٌ لأصدقائه دون أن يتملكه مع ذلك شعور المُعطي أو المُعين، بل يبدو عليه الخجل حين يشكره صديقٌ على خدمةٍ ما. يخطر في البال سؤالٌ: ماذا لو خلا المجتمع من أشخاصٍ مثل عليّ؟، ماذا لو كان المجتمع يتألف من أناسٍ يستسلمون لفعل السلطات المستبدّة في تذريرهم، وتطويع كراماتهم، وتكييف وعيهم، وحصرهم في هموم أنانية، وتحويلهم إلى مصفقين وتوابع ومتزلفين لأصحاب السلطة، ومتعادين فيما بينهم، إلى أين يتجه مجتمعٌ كهذا؟، هل إلى الازدهار أم إلى الضمور؟، وحين تكون تقوم سياسة الحزب «القائد للدولة والمجتمع» على استئصال أمثال عليٍّ من المجتمع، هل نستغرب أن نرى مصير هذه الدولة وهذا المجتمع على ما هو عليه اليوم؟.

طقوس لمدينة غافية- الدفن على الرصيف - عمل للفنان عماد رشدان

علي الشهابي الحاضر الغائب

زكريا الصقال

عمل للفنّان منيف عجاج

لا أحدَ يستطيع تغييبَ من هو حاضرٌ دائماً، فهناك أشخاصٌ لا يغيبون ولا يختفون، لأنّهم أصبحوا ذاكرة المكانِ، ذاكرةَ الأزقّة والحواري. وعلي الشهابي هو من هؤلاء، بل قد يكونُ رمزهم. ورغم المحاولات الكثيرة للطاغية وزبانيته لتغييب عليٍّ، وسرقة أجمل سنوات عمره بين جدران زنازينهم وجدران معتقلاتهم، يبقى عليٌّ البسمةَ والإشراق والتوق لمستقبلٍ أكثر حريةً وعدالة.

كثيرٌ من الأصدقاء يحبّون تأدية دور الضمير، وهم، في الحقيقة، يصفعون وجوهنا ويجلدون ذاكرتنا. جميلٌ أنت يا أبا بحر ولكنّك قاسٍ، ولا أبالغ إذا قلتُ إنّك بطلبك أو مبادرتك تصفع ذاكرةً ثكلى، ذاكرةً تحمل بقجتها*على ظهرها صليباً، هذه البقجة التي إذا (فلشت) ستتشظّى أسماءً وأمكنةً وزواريبَ وحاراتٍ، كانت حياةً وروحاً وأحلاماً.

أمكنةٌ هي براءة الطفولة وحلم المستقبل، ولاسيّما إذا كانت الأمكنة هي (اليرموك)، اليرموك الذي أطلق عليه المخيم، وهو في الحقيقة خيمتنا ومدرستنا ومعبد هواجسنا، به كنّا نتحدّى السماء ونهدّد بتغيير العالم.

تصادقت مع عليٍّ وأنا يافعٌ، ورسمنا همومنا معاً، وكان معنا شابٌّ وسيمٌ اسمه (حسام أبو عيسى).

يا إلهي، كيف كبرنا بسرعةٍ قياسيّةٍ وحملنا أكبر القضايا وأنبل القيم على أكتافٍ صغيرةٍ، ورحنا نجوب شوارع المخيّم؟ كم كتبنا على جدران هذا المخيم آمالَ غدنا وأهداف مستقبلنا، وكم كانت جميلةً وهي تتحدّى العسس والمخبرين وعيون الطغاة!.

ويوم قُرّر أولُ خرقٍ لقضيتنا، واللعب بها باسم برنامجٍ قدّمه فصيلٌ من اليسار المتخاذل، أو الذي، دائماً، كان يعمل على تبرير الهزائم ويُدعى (الجبهة الديمقراطيّة لتحرير فلسطين)، حيث تقدّمت ببرنامج أُطلق عليه (النقاط العشر)، الذي تحوّل إلى البرنامج المرحليّ فيما بعد.

يومها (أقمنا الأرض ولم نقعدها)، ولم نكن يومها رفضاً ولا قبولاً، بل كنّا فلسطين كما حلمنا بها وسمعنا عنها في حكايا الأجداد، ولم نسمح لكلِّ الهرطقات بالتزوير والتدجيل، يوم المقبرة وعدم السماح للمهرطقين بتضليل شعبنا*، كان يوماً في الذاكرة الفلسطينيّة، حيث كانت فلسطين هي الضمير وهي البوصلة.

وكان عليٌّ صوتاً مميّزاً يعزف ألحاناً ويصلُ على الأسنان.

ومن يومها كان القلق والسهر والحراك، سمّه ما شئت، بحثاً عمّا يجمع أحلامنا وهمومنا، وضجَّ الشارع والمخيم بالكثير من الذين يبحثون مثلنا عمّا يجمعهم، ولم يرق للطاغية وجلاديه هذا الحراك، فشنَّ حملات اعتقالٍ طالت الكثيرين، ومن بينهم (عليٌّ وحسام).

آنذاك ظهرت في سماء البلد منظمةٌ اسمها (المنظمة الشيوعيّة العربيّة)، وقد أعدم الطاغية خمسة أنجمٍ منهم، وزجَّ البقية في الزنازين لأعوامٍ تجاوزت العشرين عاماً، أغلبهم كان يعيش في المخيم، ومنهم من هو ابن المخيم وأعدم باسمه، مثل (وليد عدوان)، وجهٌ يمتلئ حيويةً وسمرةً فلسطينيّة.

لم نكن مع هذه المنظمة التي لفتت الأنظار بممارساتها وعنفها، يومها كنّا خليةً، إن صحَّت التسمية، وذلك لارتباطنا ببعضنا، وقررنا (أنا وعليٌّ وحسام) أنه لابدَّ من النهوض بمشروعٍ وتشريع نوافذه.

وكان لقاء (دمر)، وحدث أول خلافٍ مع الشباب حول واقعية الطرح ومغامرته، كنّا مازلنا فتيةً، والدماء تغلي في عروقنا.

يومها اختلفنا، وخرجت خارج هذه الخلية التي راحت تشقُّ الظلام.

مات حسام، فقدنا نجماً كنا نلتفُّ حوله ونحلم معه، وأيضاً اختلفنا أنا وعليّ على التشييع والدفن والمسير، خلافاتٍ لم تفسد تعلّقنا ببعضنا، ولم تقطع حبل ودِّنا وتواصلنا.

غاب عليٌّ، أضاعني وأضعته، لم تعد رائحتنا تملأ الحواري والزواريب، وابتدأت الرابطة* التي كنت على حوارٍ ولقاءٍ معها.

في شهر آب عام١٩٧٦، جاء الرفيق (أبو حسين) وسلّمني حزمة المطبوعات التي كنّا نتداولها بمواعيدَ وأمكنةٍ محدّدةٍ، وكانت المهامَّ البرنامجيّة للرابطة والبيان الأول.

استنفرنا مجموعتنا ورحنا نتمعّن بالطرح الجديد للرابطة الذي كان متسرّعاً ومغامراً، لكنّه يحمل روح الإصرار والتحدّي، لم يكن عليٌّ معنا افتقدناه، بعضهم تبسّم وقال لو كان لأصبح رابطةً.

أحدثت مهامُّ الرابطة خللاً في صفوف مجموعاتٍ كثيرةٍ، منها مجموعتنا، وكان يومها أن دخل على الخطِّ برنامجان (اتحاد الشغل)، و(مجموعة اتحاد النضال)* التي تحوّلت لحزب (العمال الشيوعيّ الفلسطيني).

ضمن هذا الخلل ونشاط الرابطة الملحوظ والحوارات المكثّفة، حسمتُ أمري بالرابطة،

ولاسيّما بعد الدراسات التي بدأت ،تتوسّع حول الحركة الشيوعيّة المحليّة وبناء الأداة الثوريّة.

أين عليّ؟ ما الذي أبعده عنّا وعن هذا السياق؟ ها أنا أسير بخطٍّ سياسيٍّ جديدٍ، واسم عليٍّ يحاصرني لماذا لا يكون؟ أين اختفى؟ مرّت الأيام على هذه الوتيرة، ونحن غارقون بهموم اجتماعات ومهامّ توزيع البيانات والجريدة أو الجرائد حيث كانت تصدر يومها (النداء الشعبي).

حتى شهر آب عام ١٩٨١، كنتُ أتوسّع بكثيرٍ من الحلقات والمجموعات، ولا أحد يعرف انضمامي إلى الرابطة، التي عقدت مؤتمرها .وتحوّلت إلى «حزب العمل الشيوعي» في سوريا حيث أسرَّ أحدهم لي بأن علي الشهابي، هو أحد رفاق حزب العمل. يا إلهي كيف اجتمعنا ثانيةً بإطارٍ واحدٍ؟.

ظهر عليٌّ ثانيةً في اليرموك وتكثّفت لقاءاتُنا ثانيةً، وللأمانة لم نكن مختلفين على الكثير، ونبدو أمام الآخرين منسجمين، إلا أن هناك نقاطاً نختلف عليها. أصبحنا نلتقي كثيراً ونتحاور ويتعمّق انسجامنا، إلا أن الأمن دهمَ عليّاً في المدرسة التي كان يُدرّس فيها ولم يتمكّن حيث ظلمةُ الزنازين ووحشيّة الجلّادين.

عدنا ثانيةً لا نلتقي مع عليّ، ولكنه دائم الحضور من زنازينه وكان علي رمزاً وشكّلت والدته، رحمها الله، نموذجاً بمواجهة جلّاديه، وجمع النسوة والاعتصام أمام الأمن للمطالبة بالمعتقلين، واشتدّت الحملات، تعقبتنا ذئابهم وأقضّت مضاجعنا، أصبحنا عيون الليل والأماكن المظلمة. طوردتُ واعتقل أخي، وقرّر الحزب أن أتابع (منظمة لبنان) وهكذا لم نعد نلتقي عليّاً، إلا أنه دائم الحضور، فكلُّ المتخفّين يلهجون باسمه وذكريات حركته.

ضاقت الأرض عليَّ، حتى استقريت في ألمانيا إثر مطاردةٍ طويلةٍ وعنيفةٍ وضرباتٍ موجعةٍ للحزب.

ومضت الأيام والسنون، والرفاق يغيّبهم الجلاد والمعتقل، إلى أن خرج عليٌّ بأواسط التسعينيّات، وراح ينتظر الرفاق ويقرأ الطريق من جديد، شحذ همّته وهو الذكي، وترجم الثورة الإسبانيّة، وكانت ترجمةً جميلةً، وأصبح يعدُّ لنضالٍ جديدٍ، عنوانه السلميّة والإصلاح والتغيير، وبصعود التجربة التركية، بذل جلَّ همه كي تكون نموذجاً، عليٌّ إلى الواقع بمخطوطاتٍ ودراساتٍ، وكان جريئاً، وطالب أن يحاضر في مكتبة الأسد حيث تجمّعُ المثقفين، لم يرق للأمن هذا النشاط فاعتقله ثانيةً ليمكث أعواماً في السجن ويخرج ثانيةً. وأنا أرصد روحه ونشاطه وحيويته، لم يتقاعس عليّ ولا لمرةٍ واحدة، كان يدرك أهميّة الحرية وتقدّم المجتمع وتغيير آليّة الدولة الشموليّة كي يعمَّ القانون والدستور والعدالة.

كان حيويّاً، مفعماً بحبِّ الآخر، يجمع الأصدقاء ويحفّزهم بروح المثابرة والنضال، لأن سوريا تستحقُّ نظاماً أكثر حريةً وعدالة، إلى أن تفجّرتِ الثورة وراح يخطّط كيف يحمي المخيم، وكيف يساعد مهجّري المدينة، وكان صوته جريئاً وحادّاً مطالباً بحماية المدنيّين، كما طالب الأمن بتحييدهم وحمايتهم ورسم حدود مواجهته مع المتظاهرين، انتزعه الأمن والجلادون لأنهم يستشعرون خطورته، وغاب عليّ ثانية، غاب عليّ في مرحلةٍ صعبةٍ وبشعة وظروفٍ لا إنسانيّة، إلا أن محبّيه وأصدقاءه يستحضرونه يومياً ويشعرون أنه سيشرق ثانيةً.

أبا السعيد الغالي كم نشتاق إليك .

عمل للفنّان محمود سلامة

رسالةٌ إلى علي الشهابي

ضحى عاشور

صباح الخير يا عليّ

هي رسالةٌ إذن! سأتغاضى عن مكانك المجهول وكيفيّة إرسال الرسالة، وسأنعم بفرحةِالتواصل معك. وسأتخيّل أنك ستكون أحسن حالاً وسيشرق قلبك، وربما ستبتسم رغمَ حديث الشجون الذي ينخر أوقاتنا المحسوبة علينا كحياة. ولمَ لا؟!، فالرسالة دليلُ الاهتمام الشخصيّ الحميم بالمتلقّي، فما بالك إن كانت من امرأة!، وهذه المرأة التي هي أنا، ليست زوجةً ولا أمّاً ولا من الأخوات ولا من قبيلة الخالات والعمّات والجارات، ولا هي من الحبيبات السابقات، ولا من الصديقات، مع ذلك فهي فجأةتصبح «أهمَّ» واحدةٍ فيهن!، ابتسم يا عليّ، ولتطمئنْ نساءك، فأنا «الأهمُّ» للحظاتٍ، وبسبب البعد لا القرب، أعرف أيَّ إطراءٍ لسجينٍ يحمله سلامٌ من جارٍبعيدٍ أو جارةٍ لم نحفظ اسمها، ليس أدفأ من كلمة: نتذكرك، ولا أحنّ من سؤال: كيفك؟، ولا أطرب من سماع أصداء الجدالات والثرثرات والتفاصيل. لو يعرف الناس طيبةَ قلب السجين وتواضع مطالبه: لا تتركوني فريسةً للنسيان!.

وعداك عن النساء وحقّهن المشروع بمعرفة حيثيّات الرسالة، عليَّ أن أحميَ نفسي من هجمات جيش المتذمّرين الساخطين الذين ينهضون ضدَّ كلِّ قضيةٍ وفي وجه كلِّ مطالبةٍ: لماذا الحديثُ عن عليٍّ دون غيره؟ ولماذا الآن؟ وكيف؟ولم؟ ومتى؟ يجب ولكن... إلخ.وكأنّ كثراً يتواطؤون على جعلنا نركن إلى الصمت والعطالة.

لكني سأحتاط للأمر، وأعلّلأن لهذه الرسالة غاياتٍ تتّصل بما كان ينبغي أن نتناوله بحثاً أو تعقيباً أو حتى تذييلاً في أحد الهوامش. ألم نكن «رفاق طريق»؟!، وكم مرّةً غلّفت رسائلَ لك ولشباب سجن عدرا، وكم استلمت من رسائلكم الأثيرة؟، وكم تابعت أخبار «أم عليّ»، حتى إنّي زرتها في بيتكم في المخيم، كنت أريدُ أن أوصل لها بعض التوصيات الصغيرة، لكنّها لم تدع لي مجالاً للحديث وقد أمطرتني بالأخبار والمشاعر والملاحظات والآراء والانتقادات، التي كانت كلُّها ردّاً علىفضولٍ أفلت مني: حدثيني يا خالة عن ابنك عليّ. كم تشبه والدتك يا عليّ!

دعنا نبدأ من هناك، لماذا لم نلتقِ سابقاً لقاء صديقين، رفيقي طريق، كائنين كابدا محنة العمل السياسيّ السرّيّ والسجن؟،هناك مئات الأسباب لنلتقي، إذن ما الذي جعلنا نتوارى خلف أوهى المبرّرات، ونمرُّ ببعضنا بلامبالاةٍ مقيتةٍ وكأننا «يا دوب» سامعين ببعض!، آه عفواً، لم أنتبه، أهلاً وسهلاً.. ألم تكن هذه حالنا بعد السجن ونحن «رفاق الأمس»، نلتقي بعضنا وقد تسلّح كلٌّ منّا بزوجٍ أوزوجةٍ أوقريب، وتحاشى الآخربذريعة العمل أو الدراسة أو المراقبة الأمنيّة؟!، لمَ كنّا نهرب؟!، تُرىهل كنّا نحاول أن نعود إلى «بيت الطاعة» الاجتماعيّ؟!، بعضنا لم يخرج منه أصلاً، وهويعتبرأنه لا شأنَ للحزب السياسيّ بالجوانب الاجتماعيّة!، هكذا، حتى لو كان بصدد «ثورة»، حدُّها الأدنى تغييرسياسيٌّ جذريٌّ: إسقاط الديكتاتوريّة والظفر بالحريّات السياسيّة (على أساس أن الحريّات الاجتماعيّة تفصيلٌ، تحصيل حاصل، هامش. لو تعرف يا عليُّ كم ندفع اليوم ثمن هذا الفصام بصورٍ مختلفة!).

وعلى ذكر «بيت الطاعة» الاجتماعيّ، أهو «بيتُ الطاعة» أيضاً الذي كان وراء موجة الانزياحات الفكريّة، والأوهام التي رافقتها عن العولمة واللبرلة اللتين ستحلّان مشكلات العالم، وبطريقهما «ستقنعان» الديكتاتوريات أن تخلعَ أنيابها ولو على مضض، وتتحوّل إلى «ديمقراطيات»، يمكن، «بل يجب التعود على التعايش معها بدل معاداتها»؟! كما ذهبتَ في كتاباتك أكثر من مرة.

لا أريد أن «أحمّلك» وحدَك مسؤوليّة التخبّط والهشاشة الفكريّة التي شاعت، ولم تزل في أوساطنا، بقدر ما أريد أن أخبرك كم أشعر بجرحك، وأنت (وأمثالك) أبديتم كلَّ المرونة والتسامح والاستعداد لتقديم التنازلات، لاختبار إمكانيّة التحرّر دون دماءٍ وخرائبَ، ظنّاً منكم أن كبارالعالم «الحرّ» سيسمحون باللعب معهم والانضمام إلى نواديهم!.

كانت الانتفاضة مناسبةً لألمسَ خبث المزاعم التي زرعت الشقاق «بين شباب الثورة وكبارها»، في محاولةٍ لحرمان الحراك من التزوّد بأيّ خبرةٍ أو معرفةٍ عند سياسيّين سابقين. رغم ذلك، رأيتك وسمعت كثيراً عمّا فعلته باختيارك الانتماء للهامش، للطيبين الشجعان المحرومين، كم ساعدت بإخلاصٍ ودون كللٍ، وكم شعرت بمسؤوليّةٍ تجاه هامشك الآخر: المخيم، وكيف انصرفت بتواضعٍ إلى أعمالٍ تأنفها بعض «النخب» من اتصالاتٍ وجهودٍ لتأمين مصابٍ أو توسّطٍ لحلّ خصومةٍ وتهدئة خواطر، وكانت قد بدأت تظهر حساسيّاتٌ وتحزّباتٌ سياسيّةٌ وطائفيّةٌ وميلٌ مبكّرٌ إلى العسكرة العشوائيّة بين المتظاهرين.

يعزّيني يا عليّ أننا التقينا في مناسباتٍ عامّة «سعيدةٍ»، وبين أصدقاءٍ وأحبةٍ، حيث استطعتُ أن ألمسَ اندفاعك وكرم نفسك ولهفتك وميلك للمبادرة (ربما إلى حدود المخاطرة!)، كنتُ كلَّ مرّةٍ أرى فيك ابن البلد الطيب الشهم، ابن المرأة الشجاعة أم عليّ وابن المخيم ورفيق السجن، منحازاً إلى الهوامش بنزقها وحرارتها وصخبها وهمومها وسخائها رغم ضيق خياراتها.

وها أنت اليوم في هامش الهامش، حيث لا عنوانَ لك ولا خبر عنك، حيث يصبح السجن مضاعفاً على رجلٍحرٍّ مثلك، وضاغطاً على أرواحٍ عاجزةٍ مثلنا.ومع ذلك، أومن أنك لن تعدم وسيلةً للتمسّك بالحياة، وأنك ستجد متّسعاً من الروح لاحتضان سجناءَ يحتاجون عونك.١

أعترف أننا مقصّرون تجاه قضية المعتقلين والمغيّبين قسريّاً، ولكنّا لا نملك إلا أن نمسحَ الغبار عن أماكنكم وننتظر عودتكم سالمين أحراراً كما يليق بكم.

سلّم يا عليّ على من حولك، وأخبرهم عن كثيرين (مثلي) يكتبون لهم رسائل ستصل... ذات حرية.

عن الصديق عليّ الشهابي

طارق عزيزة

قبل نحو عشرِ سنواتٍ (ربما في العام ٢٠٠٥)، دعاني أحدُ أصدقائي المقرّبين لمرافقته إلى مخيم فلسطين، في زيارة صديقٍ له يقيم هناك، ويودُّ أن نتعارف. كنت ما أزالُ طالباً في الجامعة، ومنضوياً في صفوف تنظيمٍ سياسيّ من أحزاب المعارضة السوريّة المحظورة الشهيرة (الحزب الشيوعيّ – المكتب السياسيّ، ولاحقاً حزب الشعب الديمقراطيّ السوريّ). كانت «السياسة» وأجواؤها وكلُّ ما يتعلّق بها تتفوّق على أيٍّ من اهتماماتي الأخرى، فكان كافياً قول صديقي لي إنّ الشخص الذي سنزوره هو كاتبٌ معارضٌ ومعتقلٌ سياسيٌّ سابق، لكي أقبل دعوته بكلّ حماس.

كانت تلك أول مرّةٍ ألتقي علي الشهابي. منذ لقائي الأول به، في سهرةٍ امتدّت حتى ساعات الصباح الباكر، أُعجبت بشخصيته الفريدة، وسعة ثقافته وغناها، كما بدماثته وروح المرح التي لم تفارقه حتى في أحلك الظروف وأقساها، بما في ذلك فقدان الأبناء. أذكر أنّ أكثر ما لفتني فيه منذ البداية، تواضعه البالغ واهتمامه الشديد بالاستماع لآراء من يلتقيهم، ولاسيّما من الشباب، دون أيّ نزعة «أستذة» أو تعالٍ و«تنظير» أو سواها من عدّة البحث عن الزعامة واستقطاب المريدين والأتباع، على خلاف كثيرين من مجايليه، من المعتقلين السياسيين أو الكتّاب والمثقفين المعارضين، الذين عرفت بعضهم عن كثب ولمست فيهم تلك «الخصال» في الفترة نفسها تقريباً، سواء في أوساط «الرفاق» خلال تجربتي الحزبيّة القصيرة، أو من الأصدقاء في تنظيماتٍ أخرى. كثيرون منهم خَدمتهم «القضية» وأصبحوا بفضلها «نجوماً» ومشاهيرَ، في الوقت الذي كان يعمل فيه عليٌّ وآخرون من أمثاله الشرفاء بدأبٍ وصبرٍ بعيداً عن الأضواء، في خدمة قضية التغيير الديمقراطيّ في سوريا.

سرعان ما توطّدت علاقتي مع الرجل، على أرضيّةٍ صلبةٍ من الاهتمامات المشتركة والتواصل الإنسانيّ الودود والصادق، فتواترت لقاءاتنا في دمشق، وكذلك خلال زياراته العديدة إلى مدينتي «اللاذقيّة». على أنّ ذلك لا يعني عدم وجود خلافاتٍ في الرأي حول عددٍ من المواضيع، منها بعض الطروحات التي صدرت في ورقة العمل الشهيرة التي طرحها للحوار بعنوان «سوريا إلى أين؟»، وتضمّنها كتابٌ حمل العنوان نفسه. لكنّها كانت نقاشاتٍ بنّاءةً مفيدة، زادت من الاحترام المتبادل بيننا، وكثيراً ما انتهت إلى توافقاتٍ في الآراء، بفضل ما يتميّز به عليٌّ من صبرٍ على الجدل، ومرونةٍ في النقاش والانفتاح على الاختلاف. وكثيراً ما حرّضت لديالنقاشات مع عليٍّ أسئلةً جديدة، ودفعتني إلى المزيد من القراءة والاطلاع على حقولٍ معرفيّةٍ لم أكن أوليها ما تستحقُّ من اهتمام.

تحضرني أيضاً إحدى نقاط الخلاف الأساسيّة وقتها بيني وبينه، والتي كشفت لي التجربة الشخصيّة والعامّة فيما بعد أنّه كان على حقٍّ فيها وأنني كنت مخطئاً، وهي مسألةٌ حملت شيئاً من المفارقة. فقد كان علي الشهابي يعبّر صراحةً عن موقفه النقديّ من أشكال وطرائق العمل السياسيّ السائد في أحزاب ما يمكن تسميته اليوم «المعارضة التقليديّة» التي يُفترض أنّه ينحدر منها، ودفع سنواتٍ طوالاً من عمره بسبب انتمائه لأحد أحزابها (حزب العمل الشيوعيّ)، في مقابل دفاعي المستميت (وأنا الشابُّ المتحمّس حينها) عن هذه التنظيمات الشائخة، إذ كنتُ حزبيّاً ملتزماً جدّاً.

غير أنّ علي الشهابي لم يكن مكتفياً بنقد أداء المعارضة التقليديّة فقط، وإنما سعى لاقتراح بدائلَ وتصوّراتٍ جديدةٍ للعمل السياسيّ، والانخراط في الشأن العامّ بأساليبَ تتجاوز الأطر الحزبية القديمة. وقد حاول ترجمة أفكاره في هذا المجال بشكلٍ عمليٍّ، من خلال التيار الذي عمل على تأسيسه مع عددٍ من الأصدقاء والمهتمّين، من مشاربَ أيديولوجيّةٍ مختلفةٍ وخلفيّاتٍ سياسيّةٍ عدّة، تحت اسم (تيار سوريا للجميع). ولعلّ التزامي الحزبيَّ المفرط آنذاك كان السببَ الوحيد في عدم انتسابي إلى التيار رغم إعجابي بطروحاته، ومشاركتي من موقع الصديق في العديد من الجلسات التحضيريّة ومناقشة أوراقه. وأذكر أنّ أحد «الرفاق» من زملائي في الجامعة أُعجب بفكرة التيار وعبّر عن رغبته بالمشاركة فيه، فلم أعترض على ذلك على الرغم من كوني (مسؤوله الحزبيّ) المباشر، وكلُّ ما فعلته أنني طلبت منه الاستقالة من الحزب منعاً للوقوع في «ازدواجية تنظيمية»!.

محاولة عليٍّ تلك كانت إحدى «التهم» التي (وجهها القضاء له، في ١٠ تشرين الأول (أكتوبر ٢٠٠٦، «المشاركة في تأسيس حزب أو جمعية مناهضة للدولة وغير مرخصة»، وذلك بعد شهرين من اعتقاله إثر مراجعة أحد الأفرع الأمنيّة في دمشق، ليكون الثالث له، حيث سبق أن اعتُقل سنة ١٩٧٥ لنحو عام، ثم اعتقل ثانيةً في ١٩٨٢ وبقي في السجن حتى عام ١٩٩١. واليوم نقترب من الذكرى السنوية الثالثة لاعتقاله الرابع، المستمرّمنذ كانون الأول (ديسمبر) ٢٠١٢ مع انطلاقة الثورة السوريّة في آذار ٢٠١١، لم يوفّر علي الشهابي جهداً في دعمها على المستويات كلّها، ولم تتغيّر يوماً وجهة بوصلته الديمقراطيّة العلمانيّة. فحتى بعد أن غدت ظاهرة العسكرة أمراً واقعاً، بقي علي الشهابي أميناً لقيم الثورة الأولى وأولوية النضال الشعبيّ السلميّ، مواصلاً دعواته إلى «التفكير بالوسائل التي يمكن استخدامها عملياً لتفعيل هذه السلمية، على الرغم من السيل الجارف نحو الحرب الأهلية»، مؤكّداً على ضرورة «التفكير بتصوّراتٍ لما يمكننا ،عمله، إن اندلعت شرارة الحرب الأهلية أو شارفت، لتوسيع آفاقنا في ما يخصُّ ما ينبغي علينا العمل به للجم تحوّلها طائفياً» **(علي الشهابي: «الحرب الأهلية القادمة في سوريا»، مجلة الخط الأمامي، العدد الرابع، نيسان ٢٠١٢، ص٥).**

في المقابل، شهدت الثورة كيف تزاحم «يساريّون» و«ديمقراطيّون» كثر للنفخ في أبواق العنف والطائفيّة، يمجّدون العسكرة، ويدافعون عن طائفيّيها الذين حملهم السلاح ليركبوا على الثورة. واليوم، لا يسعني سوى الأمل بالحرية للصديق النبيل علي الشهابي من سجون الاستبداد الأسديّ البغيض، وتمنّي الحرية أيضاً للثورة، التي آمن بها، من أسر مستبدّيها الجدد.

علي الشهابي وسوريا الضائعة

عمّار ديّوب

لم يكن مهجوساً بالشأن الفلسطينيّ بأقلّ من هاجسه بالشأن السوريّ؛ فسوريا بالنسبة إليه بلده كما فلسطين. ومن يقرأ كتبَ ومقالات عليٍّ، ومن يعرفه شخصيّاً، سيخرج بنتيجة أن سوريته أكثرُ من فلسطينيته. وفي هذا كان بعض الفلسطينيّين يعيّرونه، وكأن الأمر سبّةٌ أو تهمةٌ. عليٌّ صديق اليسار السوريّ بتنوعه، ولا بدَّ أن نخرج يسار النظام بالضرورة، فهذا ممّا لا علاقة له بيسار عليٍّ.

بعد الإفراج الثاني عنه من سجنه، وكأغلبية اليساريين حينها، انتقل إلى الليبراليّة والعلمانيّة والديمقراطيّة متوهّماً أن لا علاقة لليسار في هذه القضايا. هذه الانتقالة كانت معطوفةً على قراءته في كتابه «البنية الجديدة للعالم»، والتي رأى فيها أن العالم يميل مع العولمة للتجانس، أي إن العولمة ستدكُّ العالم القديم، وسيصبح العالم موحّدا رأسمالياً، وسيكون هناك تطوّرٌ متجانسٌ، وستلتغي حكاية المراكز والأطراف. وبعيداً عن خطأ مقولة عليٍّ برأينا، فالعالم مع العولمة أصبح أشدَّ تمايزاً، فإن هاجس عليٍّ ليس الدفاع عن الرأسماليّة حبّاً بها، بل رغبة في معرفةِ عالمٍ بدا مع ذهاب السوفييت معقداً، ولكن خياره كان الرأسماليّة.

حاجج عليٌّ كثيراً بقضية العلمانيّة وضرورتها، ورفض طائفيّة الإخوان المسلمين بينما كان كثيرٌ من المثقفين السوريين يحاججون في حقّ الإخوان في السياسة وأنهم ساعون لدولةٍ مدنيّة. عليّ كان يرى الإخوان مشروعاً أصولياً، أي هم ساعون لإقامة دولتهم الإسلاميّة. ما كان يقوله عليٌّ هو ما صار إليه الإخوان في تسلطهم على الثورة ودفعها نحو الأسلمة. لم ينطلق الرجل حينها من مسبقاتٍ حداثيّةٍ أوعلمانيةٍ رافضة للدين الإسلاميّ، كما يتوهم بعض الديمقراطيين، بل من قراءةٍ لجماعةٍتعمل في السياسة وفقاً للفتوى، وتسخّر الدين في كلّ رؤاها، وهذا يعني أنها تستطيع تغيير تأويلاتها وفقاً لتغيّر الشروط ولكن دون الخروج عن العقائدية في فهم كلّ مسائل الحياة، وهو ما فعلته هذه الجماعة.

سافر عليٌّ إلى المدن السوريّة للدعوة إلى مشروعه العلمانيّ، وكان خائفاً من طائفيةٍ كان يجدها تُحرّثأرضٌ لهافي سوريا، ودعا إلى جلساتٍ حواريّة في منزله وفي الأماكن المتاحة للنقاش، وإذا كان مستبعداً من استخدام القاعات الثقافيّة للنظام، فإن مساعيه بقيت حبيسة المنازل الصغيرة، ونادراً ما استطاع إقامة ندوةٍ في مركزٍ ثقافيٍّ.

أذكر أنه كان يسعى إلى تشكيل حلقاتٍ حواريّةٍ حينما كان يُصدِر كتابيه الاثنين.

نختلف كثيراً في توجهه الليبراليّ، ولكننا لا نختلف في تثمين الديمقراطيّة والعلمانيّة، ونختلف معه في تثمينا للعدالة الاجتماعيّة وتقديرنا أن أيَّ مشروعٍ سياسيٍّ لن يُكتب له النجاح دون تطوّرٍ صناعيٍّ كبير، وهذا لا يمكن بحالٍ من الأحوال أن تقوده الليبراليّة. هذا ممّا نختلف فيه مع عليٍّ.

لم يتردد عليٌّ، حينما بدأت الثورة، في الدعوة لها، وفي تقديم كلّ أشكال العون والمساعدة. كان يعرف كلَّ مشكلات السياسة السوريّة، ويعرف أن النظام لن يتركَ الأمور تتدحرج نحو ما حصل في تونس أو مصر.

اعتُقِل عليٌّ وهو على أبواب مخيم اليرموك، الذي يعرفه عليٌّ كلّه. هذا ما عرفناه بعد كثيرٍ من السؤال، ولم يُعرف مصيره حتى اللحظة. كان إنساناً محترماً، ونأمل أن يعود إلينا. الأمل سيظلُّ هاجسنا اليوميّ بعودته وبعودة المعتقلين كافةً.

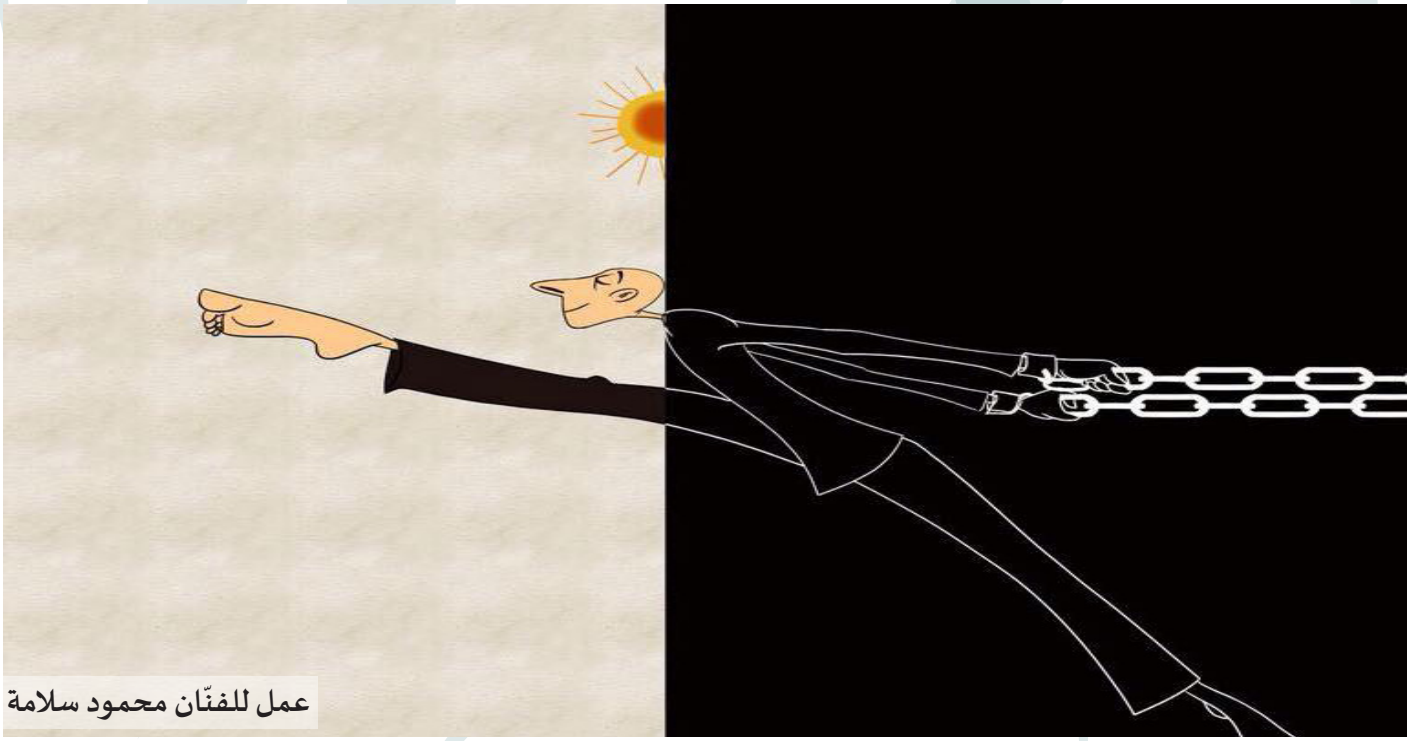

عمل للفنّان محمود سلامة

علي الشهابي وأمثاله.. الأمل المحبوس

غياث نعيسة

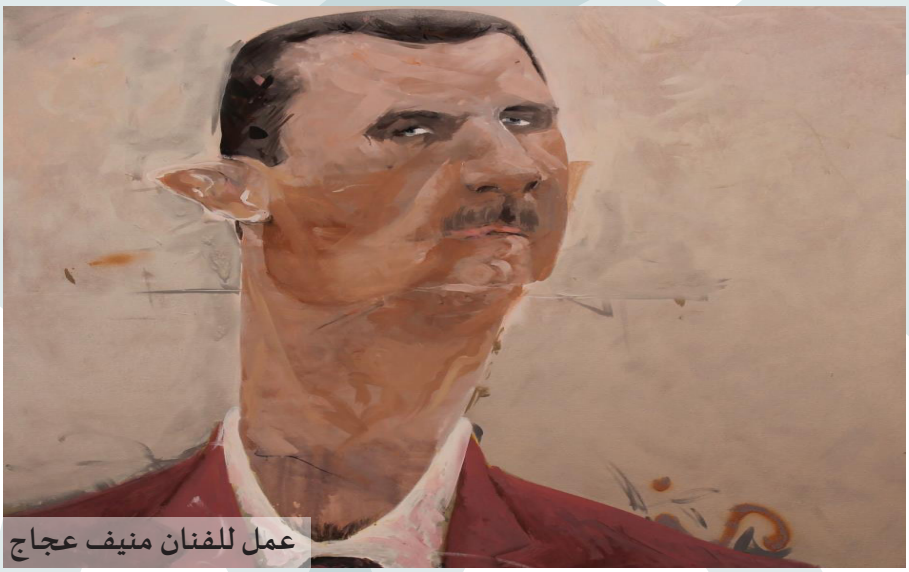

عمل للفنان منيف عجاج

الوضع المأساويُّ للشعب السوريّ، مئات آلاف القتلى والجرحى والمعتقلين والمخطوفين وملايين النازحين واللاجئين، قد تجعل من الحديث عن شخصٍ بذاته مسألةً حرجةً ونافلة. لكنَّ الأمرَ ليس كذلك بما يخصُّ شخصيّةً مثل علي الشهابي. فالثورة الشعبيّة السوريّة ومسارها ولحظتها الراهنة ترتبط عضوياً بالمصير الفرديّ للآلاف من المناضلين- مثل علي الشهابي ومنيف ملحم وغيرهما. علاوةً على أنّ لي بعليٍّ معرفةً شخصيّةً وتجربةً عامّة دامت أعواماً، وإن قطع اعتقاله عام ١٩٨٢ وسفري بعدها تلك العلاقة بيننا. لكن ما أعرفه عن عليٍّ سابقاً، وما أعرفه عنه بعد ذلك، يسمح لي بالحديث عنه.

لن أطيلَ بالحديث عن عليٍّ كشخصٍ مثقّفٍ وناشطٍ مليءٍ بالحيوية والكرم الكبيرين والارتباط العميق بهموم الناس، كلّ الناس بلا تمييز، وارتباطه العميق بتوقهم إلى الحرية والمساواة. ورغم انتقاله من الماركسيّة إلى تصوّرٍ ديمقراطيٍّ وعلمانيٍّ، لم يتخلَّ عليٌّ عن انسجامه الفريد، الذي يتميّز باستمرار ربط قناعاته الفكريّة بالممارسة العمليّة مهما كان عليه سوء الظروف الموضوعيّة، أو كما يقال(إنها تموت ولكنها لاتستسلم أبداً)، فالأمل والتفاؤل لا يفارقان «علي الشهابي» وهو من ذلك الجيل الذي اختبر الكفاح ضدّ الدكتاتوريّة بأقسى الظروف. واستطاع «اجتياز الصحراء» محافظاً على تماسكه الأخلاقيّ والسياسيّ.

تتركز بالمصير الفرديّ لعليّ الشهابي وتتقاطع معه كلُّ معالم المصير العامّ لكفاح الشعب السوريّ في ثورته التي انطلقت عام ٢٠١١. فعلي الشهابي الفلسطينيُّ- السوريُّ كان أكثر سوريّةً من كثيرٍ من السوريين، خاض كفاح السوريين بصفته الإنسانيّة التي تحدّد هويته الأساسيّة، وهي المنظار الذي من خلاله يرى العالم.لم يكن من مكانٍ لتبعات الشتات الفلسطينيّ النفسيّة أو الوجدانيّة في سلوك عليّ الكفاحيّ.. فهو منخرطٌ، حتى نقيّ العظم، وهي إحدى جمله المفضّلة، في كفاح الناس وهمومها، هنا والآن.

كان في صفوف المناضلين في سوريا منذ منتصف السبعينيات من أجل الحرية والعدل والاشتراكية، واعتقل مرّاتٍ عديدةٍ من قبل الدكتاتوريّة الوحشيّة، مثله مثل آلاف المناضلين-ات السوريين-ات، وتابع كديمقراطيٍّ وعلمانيٍّ بدءاً من التسعينيات نشاطه التنويريّ والسلميّ دفاعاً عن حرية الناس والديمقراطيّة والعلمانيّة.وكثيراً ما بدت أطروحات ونشاطات عليّ الفكريّة والسلميّة لبعض الناشطين وكأنها (طوبى) وحلم. ولكن ما يخطر على ذهني في هذا الخصوص ما سبق أن قاله أحد الصحفيّين بعد لقائه لكارل ماركس واصفاً إيّاه:)إنه حالمٌ يفكر، ومفكرٌيحلم). هذه الميزة لا تتوفر للكثيرين من المفكرين أو الناشطين. فالكثير منهم باردٌ بتحليلاته التي تفتقر لحرارة الحياة والناس ومشاعرهم، وآخرون يهومون في أحلامٍ ومشاعرَ لا تمتُّ بصلةٍ لعناد الوقائع. بينما الممارسة السياسيّة تحتاج إضافةً للعقلانيّة إلى الشغف والأمل، وهذا ما كان عليه عليّ الشهابي.رافق عليٌّ ثورة الجماهير السوريّة من أجل تحرّرها،وتعاطف معها ودعا إلى الحرية والديمقراطيّة والعلمانيّة سلمياً، وكان تفاؤله بالمستقبل عالياً، بمستقبلٍ إنسانيٍّ وتقدّميٍّ لسوريا وعموم المنطقة، هذا التفاؤل استند إلى وقائع الحراك الشعبيّ الذي كان في عامه الأوّلين يحمل ديناميّةً تحرريّة وتقدميّة بالشعارات والهيئات والبرامج التي رفعتها الجماهير الثائرة في يوميّات كفاحها.

لكن اعتقال عليٍّ في نهاية عام ٢٠١٢ ترافق أيضاً مع السحق الذي تعرّض له آلافٌ من الناشطين المدنيين، الذين يشاطرونه تفاؤله بغدٍ أكثر إنسانيّةً وتحرّراً، حيث قتل نظام الطغمة الآلاف منهم، وغيّب السجن والاختطاف آلافاً أخرى. ليشكّل نهاية عام ٢٠١٢ وبداية عام ٢٠١٣ بداية انحسار الحراك الشعبيّ والمدنيّ الأصيل، لصالح قوىً رجعيّةٍ معاديةٍ للثورة، ولصالح نظام الطغمة الحاكم. هكذا ارتبط المصير الفرديّ لعليٍّ وآلاف من الناشطين المدنيين بمصير الثورة وانعطافاتها. ألا يمثّل اختطاف رزان زيتونة وسميرة خليل، ومنيف ملحم لاحقاً، واعتقال وقتل واختطاف وتهجير آلافٍ مثلهم منحىً انحداريّاً للثورة الشعبيّة لصالح قوى الثورة المضادّة؟، إنه كذلك.ما يعني أن بقاء عليّ، وآلافاً مثله، معتقلاً ومغيباً، هو بقاء أمل الشعب السوريّ بتحرّره محبوساً. وإنّ حريته وحرية أمثاله ستعني عودة الأمل بالحرية، ليس لعليٍّ وأمثاله فقط؛ بل لملايين السوريين.الرضوخ لبقاء عليّ، وأمثاله، سجيناً ومغيّباً.. يعني القبول بهزيمتنا وهزيمة تفاؤلنا بالحرية رغم هول التضحيات. ولكن، لم يمت الأمل فينا، فهو ما يزال حيّاً ومتّقداً.. لم يمت ولم يستسلم.

علي الشهابي.. الرجل الذي لايهدأ

مروان عبد الرزاق

عندما يُطلب منّي الكتابة عن صديقٍ، أشعر بالارتباك. ماذا أكتب؟، حيث لا تعجبني قصائد المديح، ولا قصائد الكراهية. يكفي التعبير بكلمةٍ واحدةٍ: الحب، النبل، الشهامة، لوصف صديقٍ، في زمنٍ تبعثر أكثرهم في ديار العالم، وغاب أكثرهم أيضاً في زنازين الطاغية.وبعد أن كشفت الثورة عوراتناوأوساخنا، التي كانت مختفيةً تحت عباءة العبارات الثوريّة والنوم المريح. وفقدنا الأيام والليالي التي كانت تجمعنا. ومع ذلك مازال الحلم بالغد الأجمل يغمرنا.

ماذا يمكن أن أكتبَ عن رجلٍ تراه دائماً أمامك، وهو بعيدٌ عن العين منذ ثلاث سنوات؟. الكتابة عن علي الشهابي تُعيدنا إلى ذكرياتٍ لاتُنسى، حول سنواتٍ طويلةٍ من شبابنا، بكلّ ماحملته من آلامٍ وآمال، تُعيدنا إلى المآسي التي حاولنا مواجهتها، إلى مسار المأساة الفلسطينيّة، والتي مازالت مستمرةً حتى الآن. والمأساة السوريا التي تمثّلت بسيطرة الطاغية وعائلته على الوطن. والبحث عن محطّاتٍ هامّةٍ في مسار حياة عليٍّ قد تجعلنا نتعرّف إليه من جديد، وهي محطّاتٌ تبلغ ذروتها في كلّ مرّة، بالغياب داخل السجون، والنهوض من جديد.

منذ التغريبة الفلسطينيّة الأولى(النكبة-المأساة-١٩٤٨)، وصلت عائلته مع عشرات الآلاف من العائلات إلى دمشق، يحملون مفاتيح بيوتهم التي دمّرها الصهاينة، وسندات الملكيّة لأراضيهم المغتصبة ومزارع الليمون، معتقدين أن العودة إلى الديارلن تستغرقَأكثرمن عدّة شهور.لكن، تبيّن أن حلمَ العودة أصبح بعيداً، إن لم يكن مستحيلاً، وأقامت عائلة الشهابي في مخيّم اللاجئين الفلسطينيّين، وكأن «أمّ عليّ» ذات البنية «الصفديّة» القوية، أورثت أولادها جينات الصبر والترحال. ويبدو أن عليّاً منذ ولادته في ديار الغربة في(١١-٩-١٩٥٥)، كان مسكوناً بالحركة الدائمة، والترحال، والحلم.

ينبثق الفلسطينيُّ من رحم أمّه واقفاً على قدميه، وحاملاً بيده كتاب «السياسة».

عمل للفنّان عماد رشدان

وعلي الشهابي هو المثل الأعلى لجيلٍ كهذا، وُلد في الغربة، رغم الهزائم المستمرّة (١٩٤٨-١٩٦٧) أمام الصهاينة في فلسطين، وانتقالهم إلى العيش في المخيّمات تحت سيطرة أنظمةٍ عربيّةٍ استبداديّة لاتهمّها فلسطين إلا كيافطةٍ تجاريّة؛ حيث كانت تلاحقهم في المخيمات وتخنق أنفاسهم وتكبّل حركاتهم، وتقتلهم بوحشيّةٍ تفوق وحشيّة الصهاينة، كما حصل في مجازر الأردن(١٩٧٠)، ومجازر المخيّمات في لبنان بمدافع النظام السوريّ (١٩٧٦).

إلا أنَّ الحلم استمرَّ يغمرهم بالعودة إلى الديار. وكانت «منظمة التحرير الفلسطينيّة» هي الأمل المعوّل عليه لقيادة قطار العودة، رغم كلّ تناقضاتها وصراعاتها الداخليّة، وتآمر الأنظمة العربيّة عليها. وكان الحلم بفلسطين الكليّة يغمر الجيل القديم-الجديد الذي رفض التقسيم، والحلول التسووية اللاحقة، ومن ضمنها برنامج «النقاط العشر» الذي أقرّه المجلس الوطنيُّ الفلسطينيُّ، الذي كان يدعو إلى إقامة دولةٍ فلسطينيّةٍ على أرض الضفة والقطاع، وتشكّلت بمواجهته جبهة الرفض، التي دعت إلى تحرير كامل التراب الفلسطينيّ.

ولم يكن عليٌّ ملتزماً بأية منظمةٍ فلسطينيّة، إنما نزوعه نحو«الكليّة»، ورفض النسبيّة، جعله يقف مع الرافضين للحلول الجزئية. والنزق الشبابيّ، وروح المغامرة دفعته مع مجموعةٍ من الشباب للتعبير عن رأيهم .بالكتابة على الجدران، وإقامة التجمّعات إلا أنَّ هذا أقلق النظام الذي لا يسمح بأيّة حركةٍمن دون إذنٍ مسبق. وكانت محطّته الأولى (١٩٧٤) في سجن المزة العسكريّ، رمز الطغيان آنذاك، وهو لم يُكمل العشرين من عمره بعد.

لكن هذا لم يجعله يهدأ، وبدأت شخصيته تتبلور بعد اعتناقه للماركسيّة، في عقد السبعينيّات، حيث انتشرت الحلقات الماركسيّة كالفطر في سوريا، والتي كانت تهدف إلى بلورة رؤية اليسار الثوريّ في سوريا والهادفة إلى إسقاط النظام، والأحزاب اليساريّة «التحريفيّة» المتحالفة معه.

وضمن هذا الجوّ الزاخر بالحركة والأفكار الجديدة، والأمل بالغد الأفضل، بدأت تتوضّح شخصيّة عليٍّ «السوريا»، فهو لم يعد ذلك اللاجئ الفلسطينيّ الذي ينتظر إعانة الأمم المتحدة كي يملأ بطنه وينام،إنما أصبح مناضلاً فلسطينيّاً-سوريّاً يحمل همومَ السوريّين وأحلامهم في الحرية والكرامة الإنسانيّة. وهذا دفعه للانضمام إلى «حزب العمل الشيوعيّ»، وهو التنظيم الأكثر نضجاً على المستوى الفكريّ والسياسيّ في تلك المرحلة. ومثل كلّ رفاقه تمَّ اعتقاله عام (١٩٨٢) وتغييبه عن الحياة لعقدٍ من الزمان في زنازين وسجون الطاغية.

ولم يهدأ عليٌّ داخل الحزب. كان دائماً يُثير

الجدل النظريّ والسياسيّ داخل الحزب وخارجه، وكأن النزق الشبابيَّ لم يفارقه، كان باحثاً عن الكمال العصي على الوجود، ومحاوراً لا يتعب في دفاعه عن آرائه، ولم يكن من السهل تغيير آرائه، ولم يهزمه السجن ويدفعه إلى اليأس. لكن ظروف التسعينيّات فرضت استراحة «المحارب»، بعد خروج المعتقلين من السجون. وترافق ذلك مع موجة الديمقراطيّة وحقوق الإنسان، التي بدأت تحلُّ تدريجيّاً محلَّ الفكر اليساريّ الثوريّ، عند أغلب أصحاب الفكر الماركسيّ، ومن ضمنهم علي الشهابي.

وضمن هذه المرحلة كانت تأمّلاته وأحلامه سوريّةً خالصة، عبّر عنها في كتيّبٍ صغيرٍ بعنوان (سوريا.. إلى أين؟)، استشرف من خلاله مستقبلَ سوريا الذي رآه بانضمام سوريا إلى الاتحاد الأوروبيّ، بعد انضمام تركيا إلى الاتحاد، حيث الحوارات التركيّة-الأوروبيّة مستمرّةٌ حتى الآن. صحيح أنها رؤيةٌ تخيليّةٌ، لكنَّ عليّاً، دائماً، كان يريد أن يفتّش عن أفكارٍ لم يسبقه إليها أحدٌ.

وكانت المحطّة الثالثة مع «ربيع دمشق»، وعودة المثقف السوريّ من جديد ليطالبَ بالحرية والديمقراطيّة وحقوق الإنسان، وليس إسقاط النظام. وكنّا مجموعةً من الأصدقاء عام (٢٠٠٥-٢٠٠٦)، ومن ضمنهم علي وراتب شعبو، نسعى إلى تشكيل «تيارٍ وطنيٍّ ديمقراطيٍّ»، وأطلقنا عليه اسم «سوريا للجميع». وهو تيارٌ سياسيٌّ، لا ينطلق من الأيديولوجيات المغلقة،وليس بديلاًمن أحد، ويدعو لتشكيل قطبٍ وطنيٍّ ديمقراطيٍّ، ويطالب بالانتقال السلميّ من نظام الاستبداد إلى بناء الدولة المدنيّة الديمقراطيّة.

وكان عليٌّ هو المحرّك الأول في هذا البناء المتواضع. كان يتنقل كالمكّوك بين حلب ودمشق واللاذقية، من أجل تقريب وجهات النظر حول منطلقات التيار، وصياغة البيان التأسيسيّ الذي استغرق عدّة شهور. وبعد إنجاز البيان وقبل الإعلان عن التيار فوجئنا باعتقال عليٍّ من قبل «أمن الدولة»، وتحويله إلى سجن عدرا. ومنذ اعتقاله بدأنا ننتظر دورنا، نحن الذين شاركناه في التأسيس. لكن تبيّن لنا فيما بعد، أنخبرته في التعامل مع الأمن، وشهامته أيضاً، بحيث أخذ على عاتقه الشخصيّ كتابة البيان التأسيسيّ، واستئجاره للبيت الذي عقدنا فيه الاجتماعات من أمواله الخاصّة، واعترف علينا كأصدقاء، وليس كمشاركين، وهذا هو الذي جعلنا ننجو من الاعتقال.

والمحطّة الرابعة، بدأت مع انطلاقة الثورة السوريّة في (آذار ٢٠١١). وهنا وجدنا أنفسنا مكبّلين، لانعرف ماذا يمكن أن نقدّمَه للثورة، سوى بعض المقالات الداعمة للثورة على الصفحات الإلكترونية، وبعض الصحف التي كانت تراقب الحدث العظيم بحذرٍ شديدٍ.

لكنّ عليّاً لابدَّ له من أن يجدَ شيئاً يفعله. وكان انضمامه لحركة (معاً)، التي كانت تدعو لإصلاحاتٍ فعليّةٍ تُجنّبُ الوطن الصراع المدمّر الذي بدأت تباشيره تلوح في الأفق، هي البداية لعملٍ جماعيٍّ في خندق الثورة. ولم يكن يعجبه المنطق النضاليّ الإلكترونيّ، والمنهج الإصلاحيّ للحركة،إنما كان يدعو للاشتراك في التظاهرات، ووضع برنامجٍ عمليٍّ لها. وكان لا يهدأ متنقلاً بين اللاذقية ودمشق. بالإضافة إلى التجمّعات الدائمة في منزله والنقاشات الدائمة للإجابة عنسؤال: ما العمل؟.

مع انتقال الثورة السوريّة إلى ثورةٍ مسلّحة، والتي تقدّمت في أغلب الريف السوريّ، وبداية بروز الكتائب العسكريّة القاعدية(جهة النصرة)، في الريف الدمشقيّ، واقترابها من مخيم فلسطين واليرموك، لم يعد يكفيه العمل المريح مع حركة (معاً)، إنما كان السؤال الذي يؤرّقه هو: كيف يمكن إبعاد المخيم والفلسطينيّين عن دائرة الصراع المسلّح؟، ولاسيّما بعد انقسام الشارع الفلسطينيّ بين مؤيّدٍ للثورة، ومناهضٍ لها. وأيضاً انحياز بعض الفصائل الفلسطينيّة(القيادة العامّة-فتح الانتفاضة-جيش التحرير) لصالح النظام.

كيف يمكن أن يكون المخيم حيادياً؟.

وانطلق عليٌّ وحيداً، عارياً، يحمل على كتفه الأيمن حماية الفلسطينيّين من حمّى الحرب الدائرة، وعلى كتفه الأيسر الانتقال السياسيّ في سوريا من الاستبداد، نحو مشروعٍ وطنيٍّ ديمقراطيٍّ. وكانت روح المغامرة ملازمةً لروحه الثوريّة، دون أن يخطر في باله،على الإطلاق، العنف المسلّح الذي كان يرفضه على الدوام. كان راديكالياً سلمياً، في مرحلة انفجار الصراع الوجوديّ بين الشعب والنظام، لكنَّ النظام كان يعرف أن المناضلين السلميّين هم الأخطر على النظام، ولذلك تمَّ اعتقاله (١٧-١٢-٢٠١٢) مع عشرات الآلاف من السوريّين والفلسطينيّين، ومازالوا في غياهب الزنازين. وهذه هي المحطّة الرابعة في حياة علي الشهابي، ولن تكون الأخيرة،لأننا ننتظره لنحيا من جديد.

رجلٌ لايتوقف عن الحركة أبداً، في حياته اليوميّة، والاجتماعيّة، والسياسيّة.

عمل للفنّان عبد الناصر الناجي

فلسطين والمسألة السوريّة في وجدان علي الشهابي

ميشيل سيروب

في شهر ك١ من عام ١٩٩١،تمَّ الإفراجُ عنّا من سجن عدرا المركزيّ،ولم يتسنَّ لي لقاء أبيسعيدٍ إلا بعد سنواتٍ عديدة،في دمشقَكان لقاؤنا الأول،وفي مدينة الحسكة في المرّة الثانية،بعد إصدار كتابه «سوريا إلى أين؟». في لقائه بمثقفي الحسكة (رُتّب اللقاء عندي في البيت بعد أن رفضت المراكز الرسميّة ترتيبَ محاضرةٍ في المركز الثقافي). كان عليٌّ مسكوناً بهاجس التقدّموالثورة في سوريا، وارتدادات انتصار الثورة إيجاباً على القضية الفلسطينيّة،كانت أطروحته الأساسيّة في كتابه «سوريا إلى أين؟» سوريا للجميع. في اللقاء الذي استمرَّ لساعاتٍ طوال،أُعجب نخبةٌ من المثقفين من أبناء الحسكة،بهذا الفلسطينيّ المشبع بالروح الأمميّة،والحامل للهمِّ الوطنيّ، كأحد أبناء سوريا.لقد أغنى علي الشهابي حركة اليسار في سوريا، بأطروحتين أساسيّتين: الأولى تنبأ بهزيمة الاتحاد السوفييتي، آنذاك،وكان من الأوائل الذين اعتبروا أن «المنظومة الاشتراكيّة»هي جزءٌ من الرأسماليّة العالميّة،بل لقد أصبحت عائقاً أمام تحقيق طموحات الشعوب بدعمها غير المحدود للأنظمة القمعيّة. أما الأطروحة الثانية فتتلخص بأن انتصار ثورة الشعب في إحدى دول الطوق لفلسطين،هو الطريق لتحرير فلسطين، وسوريا هي الوطن الأوفر حظّاً لتحقيق هذا المشروع، لاعتباراتٍ عديدة، أهمُّها أن سوريا لها أرضٌ محتلّةٌ وهي الرافعة للقضيّة الوطنيّة في عموم بلاد الشام. من هذه الزاوية نستطيع الزعم بأن رؤية علي الشهابي الأمميّة كانتخريطة طريقٍ للهاجس الوطنيّ الفلسطينيّ والسوريّ معاً. ويذكر كلُّ من عايش علي في سنوات سجنه الطويلة، روح المبادرة الخلّاقة لدى هذا المفكّر الفلسطينيّ وتحرّره من قيود الدوغما الأيديولوجيّة للفكر الماركسيّ المُعلّب والمسبق الصنع في مخابر ال كي جي بي.

إنَّ قدرَ الكبار أن يتحمّلوا آلامَ الجلجلة من العذابات والمعاناة التي أذاقتهم إيّاها الأنظمة الآيلة للسقوط.سيبقى فكرُعلي الشهابي نموذجا للفكر النهضويّ التقدميّ الخلّاق، ضدَّ كلّ أشكال الاستبداد والقهروالفكر الظلاميّ البائد.

أخي عليّاً لقد طال غيابك عنا، نحن المشتاقين للمناكفات الفكريّة والجدل في قضايا الثقافة والرأي، نحتاجك هذه الأيام بيننا ونحن بأحلك الظروف. لابدّ للقيد أن ينكسر.

عمل للفنّان أسعد فرزات

علي الشهابي والمطالبة بالمشاركة السياسيّة

يوسف فخر الدين

منذ بدايةِ عمله السياسيّ، عاكس علي الشهابي خياراً من خيارات الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة المتجسّدة بمنظمة التحرير الفلسطينيّة، فبينما كانت الأخيرة تصرُّ على انعزال اللاجئين الفلسطينيّين سياسيّاً عن المجتمعات التي استضافتهم، كان هو ممّن قالوا منذ سبعينيات القرن المنصرم إنَّ وجودهم في سوريا يجعلهم معنيّين بأحوالها كما السوريّين، وليتساءل في المآل بعد «اتفاقية أوسلو» (١٩٩٣)[١]، ما إذا كانوا قد صاروا سوريّين من أصلٍ فلسطينيّ، وهكذا عرّف نفسه. ولهذا كان رافضاً لـ «الخصوصيّة الفلسطينيّة»، ولمبدأ «عدم التدخّل بالشؤون الداخليّة للدول العربيّة[٢]»، مطالباً بالمشاركة السياسيّة من موقع السوريّ[٣]. ولهذا الطرح مشتركاتٌ مع ما قاله قوميّون عربٌ، ويساريّون (أبرزهم ممّن عاصروه، سلامة كيلة، والراحل فارس مراد)، وسوريّون قوميّون اجتماعيّون، وإسلاميّون (كلٌّ منهم بما يتناسب مع رؤيته وأسبابه) قبل أن يعمّم التيار الوطنيّ الفلسطينيّ نفسه على المؤسسات الفلسطينيّة، ويحصل على اعتراف ودعم النظام العربيّ الرسميّ، ويجعل مقولاتِه الإيديولوجيّة مسيطرةً على الفضاء السياسيّ الفلسطينيّ؛ تحديداً بعد «معركة الكرامة» (١٩٦٨)[٤] حين بدا أنه ينجح فيما عجزت عنه الدولة العربيّة المهزومة في حرب (١٩٦٧). إلا أن الشهابي افترق عنهم بنتائجه المتأخّرة حين وصل إلى اعتبار أنّ الأمرَ لا يرتبط بما هو مفيدٌ للقضيّة الفلسطينيّة، وليس استمراراً لمشتركاتٍ قبليّةٍ بين الفلسطينيّين والسوريّين، كما أنه ليس فقط نتيجة الوجود في المكان، إنما لأن الفلسطينيّ مع طول هذا الوجود ومجرياته صار سوريّاً بحكم الأمر الواقع دون حاجةٍ لإيديولوجية، تحديداً تلك التي تتّكئ على الماضي لتبرير هذه النتيجة، ودون أن يعتبر ذلك نهايةً لـ«حقّ العودة»[٥]؛ ليس فقط لأنه لا يعتقد بتعارض الحقوق مع بعضها، وإنما أيضاً لأنه ممتلئٌ بالقناعة

عمل للفنّان عماد رشدان

بأن الناس أنفسهم هم الوحيدون أصحاب الحقّ بتقرير ماذا سيفعلون بها. وإذا كانت هذه الأطروحات قد رافقت الشهابي منذ بداية عمله السياسيّ في أواسط السبعينيات من القرن الماضي، متطوّرةً بتطوّر الظروف، إلا أنها لم تعرف تجسّداً شعبياً لها إلا مع انطلاق الثورة السوريّة في آذار (٢٠١١). وعلى الرغم من أنه لا يمكننا، في عجالتنا، تقصّي صلة مباشرةٍ بين طرحه لهذه الأفكار، ومشاركة شبابٍ فلسطينيّين سوريّين سلميّين في المظاهرات[٦]، إلا أن ذكر أيٍّ منهما يستحضرُ عند من يعرفهما الآخر. فإن ذُكرت مشاركة فلسطينيّين سوريّين سلميّين في الثورة السوريّة، وذُكر إصرار من فعل على الشقّ السوريّ من هويته، يحضر الشهابي كأبرز من دافع عن هذا الاتجاه في الوسط السياسيّ/الثقافيّ؛ وإن كان لم يكتب عنه بشكلٍ مباشرٍ، بل ضمّنه في أطروحاته السياسيّة السوريّة التي وصلت إلى طرحه إنشاء تيار «سوريا للجميع»[٧] في (٢٠٠٦).

ثم إننا نجد مثقفين من الجيل الوسيط بينهما (وعلى وجه الخصوص في مخيم اليرموك الذي يمتلك مواصفات العاصمة في وسط اللاجئين الفلسطينيين)، تُعرّف على أطروحات علي الشهابي بصيغتها الأولى في نشأته، وعرف تطوّر أطروحاته بهذا الصدد، وعرف السؤال عن مدى صحتها؛ في الوقت الذي لم يعرف خلافاً على مكانة الرجل كصاحب وجهة نظرٍ سياسيّةٍ يمتلك جرأةً استثنائيّةً في طرحها في أقسى المراحل الأمنيّة التي مرّت على سوريا والوسط الفلسطينيّ فيها[٨]. وهو ما يشرّع السؤال عن إن كان تبنّي البعض من هذا الجيل هذه الرؤية – إلى هذا الحدّ أو ذاك- قد ساهم، ولو قليلاً، في بقائها إلى حين أصبحت مقبولةً من قِبل قطاعٍ من الشباب؛ وهو إن صح سيمكّننا

من تلمّس دورٍ لعلي الشهابي، في النتيجة التي شهدنا. مع ملاحظة أن المعادلة نفسها تنطبق على قلّةٍ من المثقفين الفلسطينيّين الذين قالوا بضرورة المشاركة السياسيّة للفلسطينيّين السوريّين في سوريا، واعتقلوا لسنواتٍ في سجون النظام السوريّ، ذكرنا منهم أعلاه سلامة كيلة وفارس مراد.

وإن كنّا لا نمتلك في مقالنا هذاالفسحة اللازمة للبحث عن إجابةٍ عن السؤال سابق الذكر، إلا أننا سنحاول مقاربة المشتركات بين علي الشهابي والثوار المدنيّين الفلسطينيّين السوريّين في الثورة السوريّة.

وأول المشتركات: أن كليهما ديمقراطيٌّ، يتمحور اهتمامه حول المشاركة السياسيّة. وهذه في حالتهم جميعاً تعني المطالبة – أقلّه ضمنياً- بالاعتراف من قبل السوريّين بسوريّتهم أولاً.

وقد بدا طرح المشاركة السياسيّة للفلسطينيّين السوريّين في سوريا في السنة الأولى للثورة مناسباً في جوٍّ ثوريٍّ مبشّر، حيث اندفع قطاعٌ واسعٌ من السوريّين للتعرّف إلى بعضهم، وبدا أن وطنيّةً سوريّةً جديدةً وديمقراطيّة تتشكّل[٩]. بينما تراجع التفاؤل مع نجاح النظام السوريّ بدفع الوضع نحو الحرب الأهليّة، وأدّت سياسته المنهجيّة، وصعود الجهاديّة وسلوكها إلى تفتيت السوريّين، فانكسرت الاحتمالات المبشّرة جميعها، وبتنا أمام انكساراتٍ لأحلامٍ كثيرةٍ منها هذا الحلم.

ومنه نشتقُّ ثاني المشتركات، المتضمَّن في المشترك الأول والحامل له: وهو البحث عن «تطبيع الوجود» في المكان. أو بصيغةٍ أخرى انصباب الاهتمام على تسمية الأمور بأسمائها، وتحصيل الحقوق المرتبطة بها. فإذا كان ما أبقي عليه من منظمة التحرير وظيفته الوحيدة التوقيع على الحلّ النهائي، والحلّ السياسيّ الذي قامت عليه «سلطة الحكم الذاتيّ المحدود» في مناطقَ من الضفة الغربيّة وقطاع غزة قائم على التخلّص من قضية اللاجئين، فإن إبقاءَ اللاجئين رهينةً حتى الوصول للاتفاق النهائيّ ظلمٌ كبيرٌ لهم، وسلوكٌ سياسيٌّ لا أخلاقيٌّ بحقّهم. بالنسبة للشهابي لم يكن هذا الموقف محض اعتراضٍ على «خيار الدولتين»، الذي وصفه بأنه يعني «إما العمل على قيام دولتين بالشكل الذي يتوافق مع الرغبة الصهيونيّة، هذا إذا أدّى لدولتين، أو إلى استمرار الصراع العنيف»[١٠]، بل كان موقفاً أصيلاً بناه في مسعاه للانسجام بين الديمقراطيّة والحقوق وبين مخرجاته السياسيّة بخصوص أيّ شأنٍ من الشؤون. إلا أنه على الرغم من ذلك يمكننا تلمّس تشابهٍ بين دعوته هذه في سوريا ودعوة عزمي بشارة في الأراضي الفلسطينيّة المحتلة عام (١٩٤٨) للمطالبة بالمواطنة الكاملة في إسرائيل، فكلتاهما بجانبٍ من جوانبهما ردّة فعلٍ على «اتفاقية أوسلو»؛ مع التأكيد على أنها سببٌ لا يختصر الأسباب الأخرى. في هذا الوقت وجدنا رغبةً جماعيّةً لقطاعٍ من «المجتمع الفلسطينيّ الشاب في سوريا» بالاندماج في المجتمع السوري[١١]، دون القطع مع الهوية الأخرى الفلسطينيّة لأسبابٍ؛ منها نموُّ شخصيّةٍ فرديّةٍ شابّةٍ في هذا المجتمع صارت تبحث عن نفسها خارج إطارٍ سياسيٍّ رسميٍّ فلسطينيٍّ بات مخادعاً، تحديداً بما خصَّ مصيرهم، ولا يتيح لهم المشاركة بتحديده.

وثالث المشتركات: هو الإصرار على السلميّة، حيث أطلق الشبابُ الثائر عنوان «المخيمات ملاذٌ آمن»[١٢] بينما طرح علي الشهابي موضوعة «الاستفتاء العامّ» الديمقراطية أمام كلّ من تحدّث عن العسكرة، وعاد وعمّمها على الجميع قائلاً إن «مصير الناس لا تقرّره القلة، إنما الناس أنفسهم»[١٣]، وتنبأ بالحرب الأهليّة، ومساراتها، ودعا إلى «تعزيز النهج السلميّ» و«التفكير بتصوّراتٍ لما يمكن عمله، إن اندلعت شرارة الحرب الأهليّة... ما ينبغي علينا القيام به للجم تحوّلها لطائفيّة»[١٤]. وعلى هذا النهج سار حين ذهب إبّان دخول طرفٍ من المعارضة المسلّحة إلى مخيم اليرموك (١٦-١٢-٢٠١٢) إلى منطقة التماس (مجمع «الخالصة» التابع للجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين- القيادة العامّة تحديداً) ليدعو الطرفين إلى عدم الاحتكام إلى السلاح، وإلى خروج المحاصرين من المجمع. وكما كلّ من يشبهه في الثورة السوريّة دفع علي الشهابي ثمن مدنيّته وسلميّته واندفاعه للمطالبة بعدم الاحتكام إلى السلاح، فتمَّ اعتقاله عند أول مخيم اليرموك في (٢٠١٢/١٢/١٧).

ختاماً

لم نحاولْ في سياق ما أوردناه الدفاعَ عن خيارات علي الشهابي السياسيّة، وإنما بسطنا بعض ما يختصّ منها بسوريا، والمشتركات بينها وبين مطالب شباب الثورة الفلسطينيّين السوريّين. وحاولنا التنبيه، ما استطعنا، إلى آليّةٍ أنتجها في مسعاه للانسجام ما بين المقولات الأخلاقيّة التي آمن بها، والديمقراطيّة والمشاركة السياسيّة اللتين طالب بهما، وبين حقوق الفلسطينيّين السوريّين الذي هو منهم. أما الحكم على مدى صحة أو خطأ أطروحاته فهذا موضوعٌ نتركه للحوار العامّ، وهو ما نعتقد أنه سيعود لدائرة الاهتمام ما إن تُعاد الفرصة إلى الناس لطرح مطالبها بعد أن تخفَّ وطأة القمع المهول لسلطات الطغيان القديمة منها والجديدة.

١-اتفاقية أوسلو (إعلان المبادئ الفلسطينيّ الإسرائيليّ حول ترتيبات الحكم الذاتيّ الانتقالية)، وقّعها الجانبان في واشنطن بعد إتمام الاتفاق عليها في العاصمة النرويجيّة أوسلو في (١٣ أيلول – سبتمبر ١٩٩٣). ورحلت الاتفاقية قضية اللاجئين الفلسطينيين إلى المرحلة النهائية، ليجدوا أنفسهم خارج ترتيبات المؤسسات التي انبثقت ينتظرون مصيراً لا قرار لهم بشأنه.

٢-المادة (٢٧) من الميثاق الوطنيّ الفلسطينيّ يرد فيها «تتعاون منظمة التحرير الفلسطينية مع جميع الدول العربية كل حسب إمكانياتها، وتلتزم بالحياد فيما بينها في ضوء مستلزمات معركة التحرير وعلى أساس ذلك، ولا تتدخل في الشؤون الداخلية لأية دولة عربية». ويفترض بنا أن نفهم هذا المبدأ على أنه إلزامي لكل الفلسطينيين الذين تعتبرهم المنظمة «جميعاً أعضاء طبيعيّين» فيها، حسب المادة (٤) من الميثاق الوطني. يمكن الاطلاع على الميثاق: http://www.dair.plo.ps/beta/V١/index.php?placeId=١

٣-سنعتمد في تسجيل الكثير من آراء علي الشهابي على ما سمعناه منه، وشهادات من أصدقائه. وحينما يكون هناك مرجع مكتوب من قبله سنثبته في الهامش ونشير له.

٤-معركة، جرت في (٢١ مارس ١٩٦٨)، انتصر فيها الفدائيون الفلسطينيون في الأردن، بمشاركة من قوات من الجيش الأردني، على محاولة اجتياح «إسرائيلية للاستزادة، موقع المعرفة».

٥- في خطابٍ مفترضٍ وجهه إلى المجتمع الإسرائيليّ، اقترح علي الشهابي عليه السلامَ بينه وبين الفلسطينيين «على أساس قيام دولة واحدة من البحر للنهر، يحق فيها للاجئين الفلسطينيين العودة إلى أرضهم»: علي الشهابي، «نقاش مع مشروع رؤية فلسطينية جديدة»، الحوار المتمدن، http://m.ahewar.org/s.asp?aid=١ ٤٢٨٨٩&r=٠&cid=٠&u=&i=٥٨٥&q=

٦- للكاتب مقالة قارب من خلالها مواقف الشباب الفلسطينيين المشاركين في الثورة السوريا ورؤيتهم بعنوان «اليرموك: صراع الأجيال وتدمير مجتمع العصاة» نشرت في «مجلة الدراسات الفلسطينية» في ملف عن مخيم اليرموك بعنوان «اليرموك: كارثة أكبر من مخيم» شارك بإعداده، بالإمكان الاطلاع عليها على موقع المجلة على شكل ملف، أوعلى موقع مركز دراسات الجمهورية الديمقراطية http://goo.gl/zS٥f٢V

٧- صاغ علي الشهابي مسودة للحوار لم يتمّ نشرها بعنوان «من أجل أن تكون سوريا للجميع». وتضمّنت المسودة الدعوة إلى بناء سوريا على أسس الديمقراطية العلمانية، التي تحمي الحريات العامّة والخاصّة للمواطنين، وكذلك التنوع والتعدد القوميّ والدينيّ، ورفض التعصب القوميّ والديني، ورفض الطائفيّة السياسيّة. والمسودة توضح صراحة بأنه سيتمّ الإعلان عن تيارٍ سياسيٍّ باسم «سوريا للجميع» بعد الحصول على الموافقات المطلوبة وفق قانون الأحزاب الذي ينتظره الجميع. فتمّ اعتقاله في (٢٠٠٦/٨/١٠)، وصدرت العريضة التالية عن مثقفين سوريين: http://www.metransparent.com/old/texts/ali_said_shehabi_arrested.htm

٨- اعتقل علي الشهابي أربع مرّات: كان الاعتقال الأول في (١٩٧٤/١١/٣) وبقي في السجن نحو سبعة أشهر. الاعتقال الثاني من عام(١٩٨٢) إلى عام (١٩٩١). الاعتقال الثالث من (٢٠٠٦/٨/١٠) إلى (٢٠٠٧/١/٩). وكان الاعتقال الرابع في عام (٢٠١٢) ولم يفرج عنه حتى الآن.

٩- روى للكاتب شابٌ ثوريٌّ فلسطينيٌّ سوريٌّ بفخرٍ أنه في إحدى المظاهرات في «حي التضامن»، الملاصق لمخيم اليرموك من جهة شارع فلسطين، صرخ أحد الناشطين «السوري يجلس» فلم يفعل الكثير من المتظاهرين، وعند سؤاله إياهم عن السبب أخبروه أنهم فلسطينيون سوريون فما كان منه إلا الردّ «كلنا سوريون» فجلسوا بحماسة. وهو مما يبين افتراق أوساط من الثورة عن الدارج من السياسيات حول الموضوع، وحماسة الشباب للاعتراف بهم كسوريين.

١٠- علي الشهابي، «نقاش مع مشروع رؤية فلسطينية جديدة»، مصدر سبق ذكره.

١١- اليرموك: صراع الأجيال وتدمير «مجتمع العصاة»، مصدر سبق ذكره.

١٢- المصدر السابق

١٣- من لقاء مع علي الشهابي كان الكاتب حاضراً فيه.

١٤- علي الشهابي، الحرب الأهليّة القادمة في سوريا، الخط الأمامي https://goo.gl/ljZld٢، ص٥

عمل للفنّان أسعد فرزات

بيان من مؤسسة الكرامة عن الاختفاء القسري لعلي الشهابي

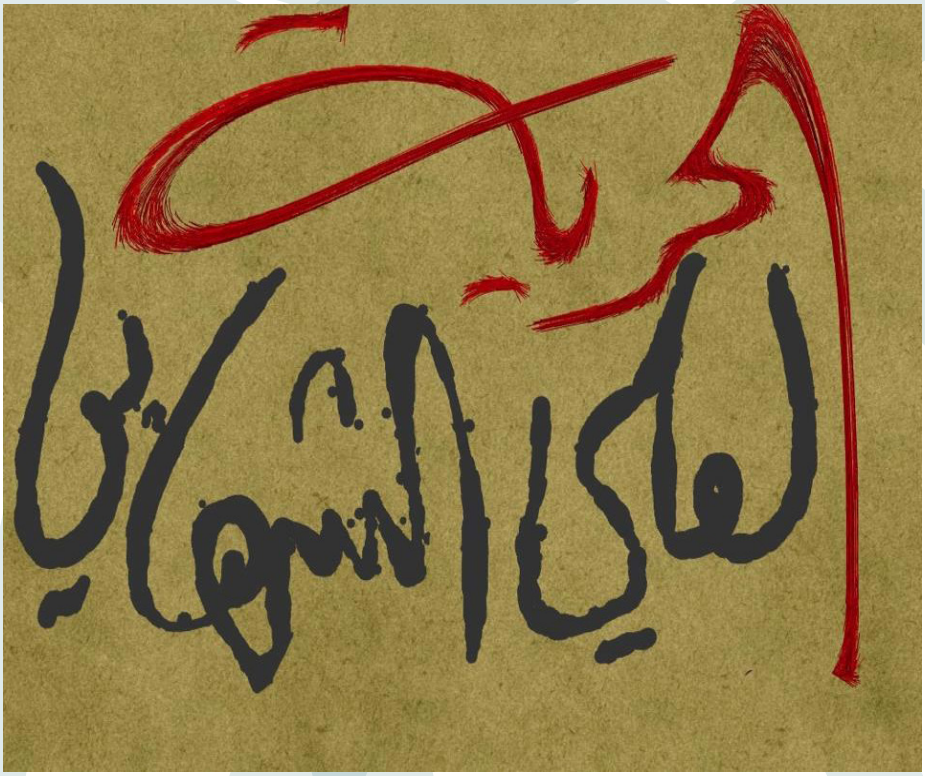

ألقت المخابرات العسكرية بسوريا في ١٧ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٢، القبض على علي الشهابي قرب مخيم اليرموك للاجئين الذي كان يقيم به لتنقطع أخباره منذ ذلك الحين. والشهابي كاتب فلسطيني وعامل سابق في وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى. ويعزو المقربون منه سبب اختفائه إلى كتاباته السياسية وعلاقته بحزب العمل الشيوعي في سوريا. ورفعت الكرامة نداء عاجلا في ١٥ آذار/مارس ٢٠١٣ إلى الفريق العامل المعني بحالات الاختفاء القسري أو غير الطوعي بالأمم المتحدة، معربة فيه عن مخاوفها من تعرضه للتعذيب وسوء المعاملة في معتقله السري، ملتمسة من هذا الإجراء الأممي الخاص التدخل لمطالبة سوريا بالكشف عن مكان تواجده.إلا أنه وبعد مرور سنوات على اختفائه لا زالت سلطات البلاد ترفض الإفصاح عن مصيره. وسيخلّد المجتمع المدني السوري، في ١٧ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٥، الذكرى الثالثة لاختفائه بإطلاق حملة للمطالبة بالإفراج عنه أو على الأقل الكشف عن مصيره. تشارك الكرامة هذه الحملة، وتدعو مرة أخرى إلى الإفراج عنه.

عمليات توقيف واعتقالات متكررة

في ١٧ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٢، حاول أقارب علي الشهابي تحديد مكان تواجده والتواصل معه، لكن دون جدوى. ثم علموا في وقت لاحق، عبر قنوات غير رسمية، أنه اعتقل من قبل قوات فرع فلسطين للمخابرات العسكرية عند حاجز أمني بين حي الزهراء ومخيم اليرموك في دمشق. بعد أن أحالت الكرامة قضيته إلى الفريق العامل المعني بحالات الاختفاء القسري أو غير الطوعي بالأمم المتحدة، قدمت السلطات السورية معلومات تفيد أن تم توقيفه من قبل السلطات المختصة في ١١ آب/ أغسطس ٢٠١٣، وأفرج عنه في ١٧ أغسطس ٢٠١٣. والواضح أن هذه التواريخ مضللة، لأن اختفاءه حدث قبل ثمانية أشهر عن ذلك، ولا يزال في عداد المختفين منذ ذلك الحين.

وليست هذه هي المرة الأولى التي يُلقى فيها القبض على الشهابي واحتجازه، بسبب كتاباته السياسية وانتمائه إلى حزب العمل الشيوعي في سوريا. فعلى سبيل المثال لا الحصر، ألقي عليه القبض في ٩ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٦، وعرض على النيابة العامة بتهمة «إنشاء حزب سياسي بطريقة غير قانونية». اليوم ١٧ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٥، بعد مرور ثلاث سنوات على القبض عن الشهابي واختفائه، أطلق المجتمع المدني السوري حملة لمطالبة السلطات السورية بالإفصاح عن مصيره والكشف عن مكان تواجده. وتفيد أسرته «كلما استفسرنا عن مكان وجوده، تنفي السلطات اعتقاله. التأكيد الوحيد الذي تلقيناه، هو الرد الذي توصل به الفريق العامل المعني بحالات الاختفاء القسري أو غير الطوعي بالأمم المتحدة من سلطات البلاد. وكونه مواطن فلسطيني يعيش في سوريا يجعله في وضعية هشة، لأن مصيره لا يثير الكثير من الاهتمام».

الاختفاء القسري أداة للترهيب

يندرج اختفاء الشهابي في إطار ممارسة واسعة النطاق تستهدف المدنيين. وهو ما وثقته الكرامة ولجنة التحقيق الدولية المستقلة بشأن الجمهورية العربية السورية. فقد تم توثيق حالات الاختفاء القسري الأولى عام ٢٠١١، لترتفع حدة هذه الممارسة بصورة منتظمة من قبل القوات الحكومية ضد الأصوات المعارضة، بما في ذلك المدافعون عن حقوق الإنسان والمحامون. وأشارت لجنة التحقيق الدولية المستقلة بشأن الجمهورية العربية السورية في تقريرها سنة ٢٠١٥، أنه يتم القبض على الأشخاص بتهم فضفاضة ترتبط بالإرهاب تشمل توزيع مواد مكتوبة أو معلومات.

لا تشكل ممارسة الاختفاء القسري انتهاكا صارخا للحقوق المدنية والسياسية فقط، بل تؤثر أيضا بشكل كبير على عائلات المختفين اقتصادياً واجتماعياً، لأن جل ضحايا الاختفاء من الذكور المدنيين البالغين القادرين على العمل، وفي الغالب هم المعيل الوحيد للأسرة.

تعبر الكرامة عن قلقها بشأن سلامة الشهابي العقلية والبدنية، وتدعو السلطات السورية بعد ثلاث سنوات على اختفائه، إلى الإفراج الفوري عنه وفي كل الأحوال وضعه تحت حماية القانون بالإفصاح عن مكان تواجده، والسماح لأسرته بزيارته دون قيود.

الحرية

لـ

علي الشهابي

عمل للفنّان عبد الناصر الناجي

عمل للفنّان منيف عجاج